التنمية البشريـــة

فى الإسلام والقدوة

إعداد وتـأليف

الدكتور على صالح العش

قام بالمراجعة اللغوية والتصحيح الأستاذ الدكتور/ **محمد عطيه حقى**
عضو هيئة التدريس بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر
وتحت إشراف الأستاذ الدكتور/ **صابرعبد الدايم عميد كلية اللغة العربية**

جـامعـة الأزهـر

المقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة علي رسول الله المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وعلي آله وسلم تسليما كثيرا.

فقط تحدثنا معا في الكتاب السابق والذي كان بعنوان أسرار وكنوز الحمد لله. في رحلة روحانية مع الله وسعدنا كثيرا وأمتعنا أنفسنا بالتواصل الروحي بين أنفسنا وخالقنا حيث إن روحنا هي من روح الله وتحب الإتصال الدائم بحبلها بها عن طريق التمسك بحبل الله وصراطه المستقيم وهو طريق الهدى والذي ما أن تمسكنا به لن نضل بعده أبدا.

لنسعد أنفسنا ونطمئن في الدنيا ونفوز بالجنة في الآخرة أما الآن وفي هذا الكتاب المتواضع سوف نكون في صحبة خير خلق الله ، ونكون في غاية السعادة والاطمئنان بهذه الصحبة ليكون هاديا ومرشدا كما يحدث في الرحلات العادية حينما يصحبها مرشداً فكيف تتصور الرحلة في صحبة الصادق الأمين والذي سوف يهديك ويرشدك بكل صدق وأمانة – علي جميع برامج هذه الرحلة – من خطوات أو مناسك – مادية أو روحية فكل هذه المناسك والأعمال – إنما هي غذاء للروح وشحن الطاقة الروحية للنفس من المنبع المطلق للعطاء – وهو العاطي والمنعم والرزاق.

فمن أراد أن يشحن جسمه وغرائزه – سوف يتطلب يوميا مصدراً للشحن أو مستقبلات الشحن بنسب أكبر أما من أراد أن يشحن نفسه وبعمل وبصورة دائمة ويطهرها ويزكيها ويجعلها باستمرار علي اتصال بمصدر الطاقة التي لا تنضب أبدا وهي الباقية بعد فناء كل مصدر من مصادر الطاقة أو عدم القدرة علي الاستفادة منه – سواء بالعجز أو بالوفاه فالمطلوب منك

أخي المسلم أن تتمسك بحبل الله لتحافظ علي حيوتك وطاقتك وتوازنك الجسماني والنفس- فلا يمكن أن تفصل الجسم عن الروح.

فالفصل معناه الوفاة – والنفس دائما تواقة إلي خالقها فالإنسان المستقر نفسيا – ونفسه مطمئنة – لابد أن ينعكس ذلك علي جسمه وصحته فكلاهما متلازمان فالجسم له أحتياجاته المادية والغريزية التي شرعها له الله لينعم بها – وحددها وحللها له في القرآن والسنة أما الروح وغذاء النفس – فلا يحدث إلي عن طريق روحاني فغذائها عن طريق الشحن الروحي للنفس من خالقها ويتم ذلك عن طريق الاتصال الدائم والتواصل بالله والذي يحدث أحسن صور للغذاء والشحن عن طريق الاتصال المباشر علي خط – الصلاة – فهي عماد الدين ومن أقامها فقد أقام الدين – فإن الصلاة دليل الطاعة والالتزام وزكاة عن الوقت وترفيه عن النفس بأن تستقطع من وقتك جزاء وتجعله لله، حيث تلبي نداء الله وتؤدي مناسك الصلاة في أدب وخشوع ومناجاة لله، ثم تحمده أثناء قراءة الفاتحة ثم في التحيات ولقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطوات الصلاة وكيفية أدائها والآن أدعوك يا صديقي إلي رحلة روحية ومع مرشدنا وهادينا فهو خير صاحب في الدنيا وشفيع في الآخرة فهيا معا في صحبة وسيرة حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وبعد أخذ هذه الشحنة الروحية في الرحلة مع الله في الصلاة نبدأ الرحلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خير مرشد وهادي وهو الصادق الأمين فهو القدوة والمصطفى ونبدأ بدراسة الطبيعة الإنسانية في الجزء الأول ثم نتطرق إلي قدوتنا وأسوتنا الحسنة في التطبيق الأمثل لمكارم الأخلاق علي يد من أصطفاه الله هاديا ومبشرا ونذيرا.

الجزء الأول

التنمية البشرية والطبيعة الإنسانية

الطبيعة الإنسانية

تقديم

تعددت آراء الفلاسفة والعلماء حول مفهوم الطبيعة الإنسانية، ذلك أنهم نظروا إليها من زوايا متعددة وأقاموا فروضا غيبية، ولم ينظروا إليها نظرة كلية شاملة ، وجاءت أغلب آرائهم وليدة أوضاع اجتماعية، فمال بعضها إلي تبرير أوضاع سلفية معينة، بينما مال البعض الآخر إلي تبرير آراء متطرفة حول علاقة الفرد بمجتمعه، فأنصار الاتجاه الثنائي نظروا إلي الإنسان علي أنه عقل محمول علي جسم، وهذا الاتجاه تضمن ثنائية اجتماعية بين الناس، والبعض الآخر رأي أن طبيعة الإنسان واحدة وثابتة، وهم بذلك أغفلوا أهمية المجتمع الإنساني وتأثيره في سلوك الأفراد وطبيعتهم والبعض الآخر اعتبر أن الإنسان عقله صفحة بيضاء، وهم بذلك أكدوا سلبية الفرد، وبالغوا في تأثير البيئة عليه، والبعض الآخر نظر للطبيعة الإنسانية علي أنها تفتح لقوى فطرية كامنة وهم بذلك أسقطوا أهمية التفاعل بين الفرد وبيئته، والذين فسروا الطبيعة الإنسانية علي أنها غرائز وقوى بيولوجية فأنهم أنكروا مرونة الإنسان ووحدته الاجتماعية.

وقد درج كل من كتب تفسير مفهوم الطبيعة الإنسانية من الفلاسفة والعلماء بتسمية ذلك نظريات تفسير مفهوم الطبيعة الإنسانية في حين أن كل ما كتب عن نظريات تفسير مفهوم الطبيعة الإنسانية ما هي إلا وجهات نظر أو آراء عن مفهوم الطبيعة الإنسانية، ولا ترقي تلك الآراء إلي درجة النظرية، فالنظرية هي "إطار عام يشمل الوقائع والقوانين التجريبية التي

تجمع هذه الوقائع والقوانين بقصد تحديد العلاقات المتداخلة بين هذه القوانين بعضها والبعض الآخر وينتهي به الأمر إلي وضع تصور عام يعتمد علي القوانين التجريبية بالنسبة لموضوع الدراسة في هذه النظرية.

وتستمد النظرية قوتها أو ضعفها من خلال قدرتها علي التفسير والتنبؤ وحل المشكلات التي تواجه الإنسان في مجال معين، وهذا يصدق تماما في مجال العلوم الطبيعية ، أما في مجال العلوم السلوكية أو الاجتماعية فالأمر هنا يختلف، ومرد الخلاف يرجع إلي أن طبيعة الظاهرة السلوكية معقدة، بمعنى أنه من الصعب إخضاعها للملاحظة والتجربة، ومن ثم فإن هناك احتمالات كثيرة للخطأ في التفسير وضعف ملحوظة في القدرة علي التنبؤ وفشل محتمل في حل المشكلات المتعلقة بها.

وننتهي مع ما ذهب إليه الدكتور سيف الدين فهمي حيث ينتهي إلي القول بأن النظرية التربوية أو النظريات التربوية ليست حتى الآن سوى خليط من الأفكار الميتافيزيقية والأحكام القيمية والنتائج النظرية القائمة علي أسلوب تجريبي أمبيريقي حديث وهي لا يمكن حتى الآن أن ترقي لمستوى النظرية في مفهومها العلمي الخالص كما نشاهدها في العلوم الفيزيائية والكيميائية فهي لا تتضمن أي بناء تصوري متميز في خصائصه المنطقية كما أنها لا تخضع بصورة مطلقة لأي اختبارات موضوعية تؤكد صدقها وكثير من مشكلاتها الأساسية في الحقيقة قضايا خلافية لها مستوياتها المختلفة من العمومية والتي يمكن أن تختلف من بيئة إلي أخرى.

وبناء علي ذلك فإننا سنتناول تلك الآراء – وليست النظريات – التي فسرت مفهوم الطبيعة الإنسانية مع بيان أن كل من كتب عن مفهوم الطبيعة الإنسانية من الفلاسفة المسلمين وغير المسلمين قد ركز علي جوانب وأهمل جوانب أخرى، وقد استطاعت الدراسة الحالية أن تتوصل إلي مكونات المفهوم الشامل للطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم، حيث أكد المولى عز وجل أن الإنسان كائن بشري يتكون من جسم وعقل ونفس وعاطفة وروح، إلي جانب أنه كائن اجتماعي، وأنه خليفة الله في الأرض، ولديه القدرة للتعلم والعمل والجدل، وأنه جبل علي العجلة والتسرع وأنه حمل الأمانة وغيرها من المكونات الأخرى التي تكون مفهوم الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم.

وبتحليل آراء الفلاسفة حول مكونات مفهوم الطبيعة الإنسانية نجد أن آراءهم تدور حول أربعة محاول هي:

1- هل مكونات الطبيعة الإنسانية ثنائية أم أحادية؟ وستتم دراسة هذا المحور عند قدماء المصريين وفي الحضارة الصينية القديمة، وفي الفكر الإغريقي، وعند المسيحيين وعند فلاسفة المسلمين.

2- هل مكونات الطبيعة الإنسانية خيرة أم شريرة؟ وستتم دراسة هذا المحور من خلال النظرة الطبيعية الإنسانية علي أنها خيرة كما نظر إليها سقراط وأفلاطون وجان جاك روسو، ومن خلال النظر إليها علي أنها شريرة كما نظر إليها بعض رجال الدين المسيحي، وتوماس هويز، وهربرت سبنسر.

3- وهل ترجع بعض مكونات الطبيعة الإنسانية إلي الفطرة في حين ترجع مكونات أخرى إلي الاكتساب؟، وستتم دراسة هذا المحور من خلال النظر

للطبيعة الإنسانية علي أنها مجموعة من الغرائز التي توجه سلوك الإنسان وتسيطر عليه وهي تؤكد أهمية الوراثة، وتغفل المكونات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من البيئة.

4- هل مكونات الطبيعة الإنسانية فردية أم مجتمعية؟ ، وستتم دراسة هذا المحور من خلال النظر للطبيعة الإنسانية من خلال تفاعلها في إطار النظام الاجتماعي فالإنسان لا يمكن فهمه في نظر هذا الفكر الفلسفي إلا من خلال التطور التاريخي الذي يمر به مجتمعه.

وستحاول الدراسة الحالية أن تستعرض أهم الآراء التي أكدها الفلاسفة والعلماء حول مكونات مفهوم الطبيعة الإنسانية في إطار هذه المحاور الأربعة.

النظرة الثنائية لمكونات الطبيعة الإنسانية

أكدت هذه النظرة علي أن الإنسان يتكون من جانبين رئيسيين هما الجانب المادي والذي يشمل الجسم أو البدن، والجانب غير المادي ويشمل العقل أو النفس أو الروح، ويعني هذا التمييز وجود انفصال بين هذين الجانبين.

وقد ميز الفرق التقليدي بين العقل و الجسم، واعتبر أن العقل أسمى من الجسم، وجعل كل منهما ينتمي إلي عالم مختلف، فالعقل ينتمي إلي عالم مثالي سماوي، والجسم ينتمي إلي عالم الواقع المتدني، ومن ثم فإن العقل هو القادر علي كبح جماح الشهوة في الجسم، وأنه إذا كان العقل ينتمي إلي هذا

العالم العلوي فأنه يتفق في خصائصه معه، وهكذا بالنسبة للجسم فانتماؤه إلي عالم دنيوي يجعله متفقا في خصائصه معه كذلك.

وتعد النظرة الثنائية من أقدم النظرات التي فصلت بين عقل الإنسان – أو روحه أو نفسه – وبين جسده وأول من قال بها قدماء المصريين وعنهم أخذ الإغريق وجهة النظر هذه، ومن هذه النظرة الثنائية لمكونات مفهوم الطبيعة الإنسانية تولدت فكرة عودة الروح إلي الجسد بعد الموت عند قدماء المصريين، وفي ضوئها بنيت الأهرام والمقابر ووضعت مع جثث الموتى بعض أدوات الزينة عندهم ليتمكنوا من استخدامها بمجرد عودة الحياة إليهم، وقد ظهرت الحاجة إلي التحنيط لمحاولة المحافظة علي الجسد سليما حتى تعود إليه الروح.

وظهرت النظرة الثنائية للطبيعة الإنسانية بعد ذلك في جنوب شرق آسيا في الديانات الهندوصينية القديمة كالكونفوشيوسية والبوذية والتاوية، وكذلك الديانة الزرادشتية في بلاد فارس وانتقلت هذه النظرة الثنائية إلي التربية، حيث كان هدف التربية في تلك المجتمعات هو التدريب العلمي علي التنسك والرهبنة كبتا للجسد وشهواته وغعلاء للروح في صعودها وهبوطها إلي السماء.

أما في الفكر الإغريقي ، فإن أفلاطون قسم مكونات الطبيعة الإنسانية إلي قسمين روح متمثلة في النفس أو العقل، ومادة متمثلة في البدن أو الجسد، وأن هذه الروح الإنسانية متمثلة في العقل لها وجودها الخالد الأزلي وهي غير محدودة بحدود الزمان والمكان، بل هي كائنة منذ الأزل مع عالم

الأفكار أي المثل، وهذه الروح كانت تعرف الحقائق والمثل العليا عندما كانت تعيش في عالمها المثالي، أما عند ولادة الإنسان فالأفكار تصبح غير واضحة نتيجة اتصال الروح بالجسد ونتيجة انتقالها من عالم المثل إلي عالم الواقع، أما الجسد أو البدن فله حدوده الزمانية والمكانية فهو يولد وينمو ويموت ويتحرك في إطار مكاني معلوم، ومن ثم فهو جزء من العالم المادي يتميز مثله بعدم كمالة أو تمامة ، وأن الجسم هو الذي يعطل عمل العقل ويقف حائلا بينه وبين الاتصال بالعالم الآخر وعلي الإنسان أن يقهر الجسم وأن يحد من شهواته.

وقد نظر أفلاطون إلي القوى التي تحكم طبيعة الإنسان فقسمها إلي ثلاث قوى، الأولى هي قوة العقل وبه يتم التعلم، ويأتي في المنزلة العليا، وتنزع هذه القوة للفكر والتأمل ومركزها الرأس أو المخ، والقوة الثانية يتحمس بها الإنسان ويغضب، وتأتي في المنزلة الوسطى من القوى وتنزع إلي القتال والحرب والدفاع ومركزها القلب أو الصدر، والقوة الثالثة هي قوة الشهوة كشهوة الطعام وشهوة الشراب والشهوة الجنسية، وهي تأتي في المنزلة السفلى من القوى وتنزع إلي النزوات والأهواء الدنيا ومركزها البطن أو أسفل البطن، وجميع هذه القوى تتصارع وتتفاعل في النفس الإنسانية وقد تغلب أحداهما القوتين الأخرتين فينزع الإنسان نزوعا معينا، فإذا فازت قوة الشهوة نزع الإنسان إلي التماس الشهوة وهبط إلي مستوى الحيوانية والشهوانية، وإذ غلبت قوة الغضب القوتين الأخيرتين تحقق في النفس النظام والصلاح وتناسب العلاقة بين القوى الثلاث ويعتبر العقل هو

الجزء الوحيد في الطبيعة الإنسانية الذي يتصل بالروح أما الجانبان الآخران فيتصلان بالجسم.

ويرى أنصار النظرة الثنائية أن الإنسان يعتبر عقلا محمولا علي جسم وأن هذاالعقل يسمو علي الجسم بقدرته علي الاتصال بالأفكار الخالدة المستمرة غير المتغيرة التي توجد في العالم العلوي ووظيفته ضبط شهوات هذا الجسم ونزواته، كما تؤمن النظرة الثنائية بوجود أفكار عامة ثابتة مطلقة وهذه وجدت بطريقة ما من قبل عقل عام أو روح عام أو قوة خارقة، وهذه الأفكار تشمل كل ما هو حقيقي ووظيفة العقل البحث عن المعرفة والحقيقة المطلقة التي ينطوي عليها الكون حيث يمكن التعرف عليها من خلال الحواس الإنسانية باعتبار أن العقل هو الأداة القادرة علي الحكم علي مدى تطابق الأشياء لأصولها الأزلية الأولى.

ويرى أفلاطون أن الطفل منذ ولادته قد أصابه النسيان، وأن التعليم هو عملية استرجاع، وأنه لما كان العالم السماوي هو العالم الذي يحتوي علي الخير والحق والجمال وعلي الحقائق المطلقة، وأن هذا العالم بعيد عنا لأننا نعيش في عالمنا الواقعي الذي نعتمد فيه علي حواسنا والذي تبدو الأشياء فيه وكأننا أشباح أو ظلال طالما توجد في العالم الآخر، فإن العالم المثالي أسمى من عالمنا الواقعي، وبالتالي فإن العقل أسمى من الجسم، وأن الجسم هو الذي يعطل عمل العقل ويقف حائلاً بينه وبين الاتصال بالعالم الآخر، وأنه إذا حاول العقل أن يتصل بالعالم الآخر، فإن عليه أن يقهر الجسم وأن يحد من شهواته، ولذلك أصبح كل ما يتصل بالعقل ساميا وكل ما يتصل بالجسم محتقراً.

وقد انعكس مفهوم الطبيعة الإنسانية المنظور الثنائي علي التربية إذ هدفت التربية إلي تنمية الجانب العقلي للإنسان، وأن هذه التنمية يجب أن تتم من خلال الفكر المجرد والبعد عن الواقع والخبرة البشرية وذلك لاتصال العقل بعالم الحقيقة العليا، وأنه نظرٌ لأن العقل الإنساني هو الصفة المشتركة لجميع الأفراد في أي زمان ومكان وهو الذي يميز الإنسان عن سائر الكائنات الحية الأخرى، فإن علي التربية أن تكون واحدة في جميع المجتمعات، وعلي ذلك فإنه يمكن قيام نظام تربوي يعبر عن الطبيعة الإنسانية المشتركة ولا يتأثر باختلاف النظم الاقتصادية والاجتماعية.

وبذلك يتبين لنا أن أفلاطون اتخذ من تربية الجسد وسيلة للصعود بالروح إلي آفاق السماء، إذ لا تستطيع الروح أن تنهض بدون جسدها، ومن ثم كان علي الروح أن تقود الجسد في الحياة لتلحق به في آفاق السماء لا أن يقود الجسد الروح فيهبط بها إلي الأرض، وأنه لما كانت كل الأرواح أو العقول غير قادرة علي أن تحمل أجسادها –في نظر أفلاطون – لتحلق بها إلي أعلى، فأنه قسم المجتمع في (الجمهورية) إلي طبقتين أساسيتين هما طبقة الأحرار القادرة بطبيعتها علي التحليق وأن اختلفت إمكانياتها، وطبقة العبيد التي لا تصلح لشيء إنساني علي الإطلاق.

ثم جاءت بعد ذلك المسيحية وأكدت هذه النظرية الثنائية للطبيعة الإنسانية، واعتبرت أن الجسم وعاء أو صندوقٌ للروح كما اعتبرت أن الإنسان أقرب إلي الشر والخطيئة لأن الطبيعة المادية للجسم فرضت عليه ذلك، في حين أن الروح لابد لها أن تتطهر من هذا الشر عن طريق الخلاص، وترتبط هذه الفكرة عند المسيحية بخطيئة آدم الكبرى وأن زله آدم

لم تقتصر عليه وحده، وإنما تعدته إلي سائر البشر كافة، ومن ثم فالإنسان يستحق عذاب الله الأبدي، وعليه فمن الضروري أن يكفر عن خطيئته الموروثة عن آدم وحيث أنه ليس قادرا ايضا عن التفكير عن خطيئته ولرحمة الله سبحانه وتعالى به فقد أرسل الله ابنه المسيح ليخلص الإنسان وليغسل خطيئته وذلك بموته علي الصليب فداء له.

وترى المسيحية أن الإنسان قد ورث عن آدم خطيئة الجسد، فالجسد هو مصدر الشهوات والنزوات ويشجع الإنسان علي الفساد والضعف والخطيئة، أما الروح الإنسانية فهي الاهية وهي في صراع دائم مع الجسد وعندما يقترب الإنسان من ربه، وعندما يسيطر الجسد بنزواته الشهوانية علي الإنسان، فإنه يفقد صلته بالرب، ويصبح أقرب إلي السائمة، وترتبط هذه النظرة أيضا بفكرة المسيحية عن العالم السماوي العلوي والعالم المادي التحتي، والأول أسمى لأنه يحتوي علي الحق والخير والجمال، أما الثاني فهو ملئ بالشرور والآثام، وكما سبق أن قلنا ، فهذه النظر ترتبط بخطيئة آدم وخروجه من الجنة عقابا له، وأن العقل طبقا لهذه النظرة المسيحية للطبيعة الإنسانية ينتمي إلي العالم السماوي، والجسم ينتمي إلي العالم المادي.

وانعكست تلك النظرة المسيحية للطبيعة الإنسانية علي التربية، حيث أخذت اتجاها روحيا يقوم علي التنسك والرهبنة لكبت الشهوات والسمو بالجسد حتى يستطيع أن يرتفع مع الروح إلي أعلى، وحول التنسك والرهبنة كبتا للشهوات دارت فلسفة التربية المسيحية في العصور الوسطى وانطلاقا من ذلك، فإن الجسد يعطل عمل العقل ويحول دون وصولة إلي العالم السماوي، وعلي العقل إذا اراد أن يقهر الجسم ويتغلب عليه أن يسيطر علي

شهواته وأن يقمع تلك الشهوات، ومن هنا جاء القول بسمو العقل، وقد أكد ذلك أن تلك النظرة المسيحية قد انعكست علي العلوم التي تدرسها حيث أعلت من جانب العلوم النظرية التي من شأنها تدريب العقل والتقليل من شأن الحرف والمهن التي تتطلب جهودا بدنية.

وبتحليلنا لكتابات فلاسفة المسلمين عن مكونات الطبيعة الإنسانية نجد أنهم نظروا إليها نظرة ثنائية، ومن هؤلاء الكندي والفارابي وابن سيناء وإخوان الصفا والغزالي وابن رشد والرازي، وبصفة عامة فقد تاثر فلاسفة المسلمين في تحليلهم لمكونات الطبيعة الإنسانية باتجاهين هما اتجاه أفلاطون واتجاه أرسطو، وذلك أمر طبيعي بعد أن انتشرت حركة الترجمة عن اليونانية في ذلك الوقت، ويمكن أن نجمل أهم آرائهم فيما يلي:

- اتفق كل من الكندي والفارابي وابن رشد علي تعريف النفس الإنسانية بأنها: استكمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة وهي صورة الجسد وهي جوهر بسيط روحاني مباين للجسد، علي حين ذهب ابن سينا إلي أن النفس الإنسانية هي:

إستكمال أول لجسم طبيعي آلي ينمو ويتغذى ، بينما ينظر الغزالي للنفس الإنسانية علي أنها "الكمال الأول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يفعل الأفاعيل بالاختيار العقلي والاستنباط بالرأي من جهة ما يدرك الأمور الكلية، وفي معرض إثبات الغزالي لوجود النفس فأنه ذهب إلي أننا نصادف الأجسام كلها مشتركة في صفة الجسمية بحيث نستطيع أن نفرض فيها جميعا الأبعاد الثلاثة، الطول والعرض والعمق، غير أننا نلاحظ أن هذه الأجسام تتمايز

فيما بينها من جهة أن بعضها متحرك والبعض الآخر، ساكن بعضها يدرك وبعضها لا يدرك، وهذا يدل علي أن هذه الأجسام تتمايز من جهة الإدراك والحركة بأمر لا يرجع إلي الجسمية، بل لشيء آخر هو ما نطلق عليه النفس، أن النبات ينمو ويتشعب، وهذا النمو والتشعيب لا يرد إلي النبات باعتباره جسما، بل لوجود النفس النامية فيه كذلك نلاحظ أن الحيوان يتحرك، والإنسان يدرك ويعقل، وهذا يدل علي تميز الحيوان بنفس مدركة وعلي أن الإنسان يتميز بنفس عاقلة، وفضلا عن النفس النامية والمدركة، وكل ذلك لا يرد إلي الجسم من حيث هو جسم، فالإنسان فيه جميع ما في النبات والحيوان من المعاني ويتميز بإدراك الأشياء الخارجة عن الحس مثل "الكل أعظم من الجزء" وقد حدد الكندي طبيعة النفس الإنسانية بأنها "جوهر بسيط، شريف الطبع، جوهرها من جوهر الله، فيها روح منه، وهي نور من نوره كالضياء من الشمس مستقلة عن الجسم، تعارض القوتين الشهوانية والغضبية وتضبطهما عند حدود لا تصلح مجاوزتها، فهي أشرف وأعلى ما في الإنسان"، وهذه النفس – عند الكندي – التي هي من نور الباري، إذا هي فارقت البدن "علمت كل ما في العالم، ولم يخف عليها خافية وصارت في عالم العقل فوق الفلك، وصارت تنظر بنور الباري، وهذه النفس لا تنام البتة لأنها في وقت النوم تترك استعمال الحواس وتبقى محصورة ليست بمجردة علي حدتها وتعلم كل ما في العوالم وكل ظاهر وخفي.

أجمع فلاسفة الإسلام، الكندي، والفارابي، وابن سيناء، وإخوان الصفا، والغزالي وابن رشد، والرازي علي أن الطبيعة الإنسانية تتكون من جوهرين رئيسيين هما: جوهر مادي وآخر لا مادي، أي صورة ومادة، وقد

اتفق كل من الكندي والفارابي بأن الجسم والنفس لم يسبق الواحد منهما الآخر، بل جاءا إلي الوجود الفعلي معا، بمعنى أن النفس لا تنفصل عن البدن، وقد أكد هذا الرأي ابن سينا، بيد أنهم اختلفوا فيما يتعلق بخلود النفس، إذ يرى الكندي وابن سينا أن موت الإنسان إنما يتعلق بالجوهر المادي فقط، فالجسم هو الذي يفسد ويموت ويتحلل أما النفس الناطقة (العقل)، فالكندي يرى أنها باقية خالدة، وكذلك ابن سينا فإنه يرى أن النفس لا يفسدها البدن، إذ إن البدن ليس علة لها، وكذلك فإن النفس ذات روحانية بسيطة وغير مركبة، ويقول ابن سينا، أعلم أن الجوهر الذي هو أن الإنسان في الحقيقة لا يفني بعد الموت ولا يبلى بعد المفارقة عن البدن، بل هو باق لبقاء خالقه تعالى" علي حين يختلف الفارابي عن ابن سينا والكندي فيما يتعلق بخلود النفس، إذ أنه يرى أن الخلود في طبيعة النفس لا كل نفس، بل هو لنوع خاص من النفوس، فالنفس الفاضلة بمواظبتها علي أفعال الخير تصير أقوى وأفضل وأكمل إلي حد يستغنى فيه عن المادة، فلا تتلف بتلفها، أما النفس الجاهلة فإنها تظل غير مستكملة، بل محتاجة في قوامها إلي المادة ضرورة فيكون مصيرها إلي العدم.

اختلف إخوان الصفا عن جميع فلاسفة الإسلام في أنهم يرون أن النفس وجدت قبل البدن، وأنها كانت في عالم خاص بها قبل حلولها في البدن، وهم يرون أن الهدف من بعثة الأنبياء هو إخراج هذه النفوس من عالم الكون والفساد وتذكيرها ما نسيت من مبدئها ومعادها، ويرون أن الجسم محمول وعلي حد تعبيرهم فأنهم يقولون: "أعلم أن الجسم محمولٌ لا حامل كما ظن كثير ممن لا علم عندهم ولا معرفة معهم أن الجسم حامل للنفس،

وأنها زيدته وصفوة طبائعه، وأنها تقوى بقوة الغذاء وتضعف بضعفه، وليس الأمر علي ما ظنوا ولا القضية كما توهموا وأنها النفس حاملة للجسم وأعراضه وهي الذاهبة به في الجهات التي يجب لها وهي معه، تدبره في مجيئه وذهابه"، وبذلك فإن إخوان الصفا يختلفون عن الكندي والفرابي وابن سينا وغيرهم من فلاسفة الإسلام إذ أكد أولئك الفلاسفة علي أن النفس وجدت مع البدن وليس لها وجود قبله علي حين أن إخوان الصفا يرون أن النفس وجدت قبل البدن، وأن الجسم محمولٌ من النفس لا حامل لها.

من عرضنا السابق لمكونات الطبيعة الإنسانية عند فلاسفة المسلمين يتبين الآتي:

- أنهم يقسمون الطبيعة الإنسانية إلي مادة وصورة أو روح وجسد أو نفس وبدن وهي جميعا مسميات واحدة.

- أنهم ينظرون للنفس الإنسانية علي أنها استكمال أول لجسم طبيعي آلي ينمو ويتغذى.

- أنهم يتفقون جميعا علي أن الروح وجدت مع الجسد باستثناء إخوان الصفا فأنهم يرون أن الروح خلقت قبل الجسد.

- أنهم انقسموا فيما يتعلق بخلود النفس إلي ثلاث فرق، فريق يرى أن النفس خالدة، مادامت من خلق المولى عز وجل، وفريق آخر يعتقد أن النفس فانية، وفريق يرى أن هناك نفوسا جاهلة فانية، أما النفوس العاقلة فهي التي تبقى ولا تفنى.

تلك بعض النظرات التي نظرت لمكونات مفهوم الطبيعة الإنسانية من منظور الثنائية بين الجسد والروح أو العقل أو النفس، وهذه النظرات سواء كانت عند قدماء المصريين أو في الحضارة الصينية القديمة أو في بلاد الإغريق أو عند المسيحيين أو عند فلاسفة المسلمين، فأنهما أعلت من جانب الروح علي حساب الجسد، كما انعكست تلك النظرة لمفهوم الطبيعة الإنسانية علي التربية حيث أعلت من جانب الدراسات النظرية التي تخاطب العقل والروح علي حساب الدراسات المهنية التطبيقية التي تتطلب مهارة جسدية.

مكونات الطبيعة الإنسانية من منظور الخير والشر

تعددت الآراء التي تناولت مكونات مفهوم الطبيعة الإنسانية بالتحليل من منظور الخير والشر، فمنها ما نظر لمكونات الطبيعة الإنسانية علي أنها خيِّرة في أصل الخلقة مثل سقراط وافلاطون والرواقيين وجان جاك رسو، ومنها ما نظر لمكونات الطبيعة الإنسانية علي أنها شريرة مثل رجال الدين المسيحي، وتوماس هوبز، وهربرت سبنسر ومنها ما ذهب إلي أن الطبيعة الإنسانية خيِّرة وشريرة معا باعتبار أن الطبيعة الإنسانية لا هي خيِّرة ولا هي شريرة في ذاتها، وفي أصلها الخلقي بل أن بها استعدادا للخير أو الشر، وهذا يتوقف علي نوع التربية والظروف المجتمعية والبيئية التي يعيش فيها الإنسان، وسنحاول فيما يلي أن نعرض لمكونات الطبيعية الإنسانية من منظور الخير والشر وذلك فيما يلي:

□ – مكونات الطبيعة الإنسانية خيِّرة في أصل الخلقة

ينظر هذا الاتجاه إلي الطبيعة الإنسانية علي أنها خيِّرة في جملتين ذلك أن الإنسان مفطور علي الخير، وأن الشر أمر طارىء وغير أصيل فيه، وإنما يطرأ عليه من المجتمع الذي يعيش فيه وأنه يفعله عن خطأ أو جهل منه أو لتأثير البيئة الاجتماعية عليه.

ويعد هذا الاتجاه مذهب المتفائلين من أمثال سقراط وأفلاطون والرواقيين وجان جاك روسو إذ يرى سقراط أن كل إنسان خيِّر بطبيعته، وأن الشر ناتج عن الجهل أو سوء التقدير، لأن الذي يعلم يقينا أنه شر لا يمكن أن يفعله، لذا قال إن الشر غير إرادي في الإنسان، وقد اهتم سقراط ببيان الفضائل التي توصل الإنسان إلي السعادة الحقيقية، فذكر أولى هذه الفضائل الاعتدال والتوسط، وثانية هذه الفضائل العمل لأنه يمكننا من الحصول علي ما نحتاج إليه بطريقة شريفة، وثالثة الفضائل العدالة وهي غاية السلوك الأخلاقي.

ويؤكد هذه النظرية الخيِّرة للطبيعة الإنسانية أفلاطون، حيث أكد أن الإنسان خيِّر بطبيعته، وقد تأثر أفلاطون في هذا بنظرية المثل والتي ترى أن الموجودات المدركة صور أرضية من هذه المثل التي تتصف بالكمال والخلود، ولذلك يقول "إن الخير في كل شيء مدرك يتوقف علي الدرجة التي يقترب فيها هذا الشيء من صورته المثالية" وبذلك فإن أفلاطون قد تاثر بالثنائية التي أقامها بين الروح والجسد وعكسها علي جانب الخير والشر في

الإنسان، وأكد أن الإنسان خيِّر بطبيعته لأنه بذلك يرجع إلي العنصر الروحي فيه، أما ما يقوم به من شرور فهي ترجع إلي تاثير النفس الحيوانية والجسد والشهوات.

والرواقيون ذهبوا إلي القول بأن الناس خلقوا أخياراً بالطبع، وأن الشر يلحقهم من مجالسة أهل الشر، ويرى الراقيون "أن الفضيلة هي أن يعيش الإنسان وفقا للطبيعة أي لما يمليه عليه عقله بعد الاستنارة بالظروف والملابسات المادية" ، وقد أحصى أندروينكوس الرواقي سبعين انفعالا كالألم والحقد والحسد والخوف والتردد والقلق والاشتهاء والبغض والمنافسة والحب والانتقام ... الخ، وهذه الانفعالات كانت تعزي في أ ساطير اليونان إلي نغمة الآلهة الأولمب حيث تقذفها في قلوب البشر، ولكن عند الرواقيين هي ليست من فعل الآلهة، وإنما من فعل الإنسان، فهي مجرد "رأي" والحكيم من يتخلص من "الآراء" ليعيش وفقا للعقل والقدر والطبيعة، وهنا يقول أبيكيت: "عندما يغضبك أو يستثيرك أحد فاعلم أنه ليس هو الذي استثارك ، وإنما "رأيك" ، فالحكم الرواقي هو أن يعيش بإرادته حسب الطبيعة بالعقل لا بالرأي، ومن الأقوال التي تؤيد هذا المعنى في أن الإنسان يعيش بالعقل ما ذكره بعض الرواقيين حيث يتبين "أن كل ما تاتي به الطبيعة فهو جميل، فمثلا إذا جاءت الطبيعة بالمطر فهذا أمر جميل إذا ساد القحط فهذا أمر جميل، أو مثلا ضغوط جماعية أو مقتضيات سلطة كل هذا يقابله الرواقي بعبارة واحدة، "هذا جميل" وبذلك يتبين أن الرواقية تؤكد أن الطبيعة الإنسانية خيِّرة وذلك انطلاقا من مبدأين ، الأول: مبدأ الحفاظ علي حرية الفرد وكيانه، والثاني: مبدأ الحفاظ علي الجماعة.

أما جان جاك رسو فقد نظر لمكونات الطبيعة الإنسانية علي أنها خيرة بالفطرة، فالإنسان "طاهر بفطرته نقي بطبيعته مخلص في ميوله ورغباته ولا يفسده إلا البيئة التي أوجدتها يد الإنسان"، كذلك فأنه نادى بألا يجعل الكبار من أنفسهم أوصياء علي الصغار، وإنما يجب أن يترك هؤلاء الصغار وشأنهم لأن فطرتهم ستوصلهم إلي الحقيقة والمعرفة وخير ما نصنعه مع هؤلاء الصغار ن تتركهم في الطبيعة وتبعدهم عن المجتمع بتشكيلاته الفاسدة نتيجة عوامل تاريخية بعدت بالإنسان عن فطرته الأولى، وأن أي تدخل في حرية الإنسان من شأنه أن يعوق نموه، بل يتسبب في إفساد هذا النمو ويبعده عن الاتجاه للخير، لذا نادى بضرورة عزل الطفل عن المجتمع حتى ينمو نموا طبيعيا متمتعا بحياته الخيرة ومعنى ذلك أن روسو كان يعتقد أن مكونات الطبيعة الإنسانية خيرة مما جعله يبدأ كتابة المشهورة في التربية المسمى "إميل" L.EMTLE بهذه العبارة "كل شيء خير إذا ما جاء عن طريق خالق هذا الكون، وكل شيء يصيبه الفساد والانحلال إذا ما مسته يد البشر، ويقول: "يولد الإنسان متحضر العبارة "كل شيء خير إذا ما جاء عن طريق خالق هذا الكون، وكل شيء يصيبه الفساد والانحلال إذا ما مسته يد البشر" ، ويقول: "يولد الإنسان المتحضر ويعيش ويموت في حالة من الرق، فعندما يولد الإنسان يسجن في قماط، وعندما يموت يشد إلي كفن ويبقى مكبلا بقيود المؤسسات مادام في لباس إنسان، ولذا يجب أن يختار بين الإنسان والمواطن، لأننا لا نستطيع أن نحصل علي الاثنين في وقت واحد".

ومما دعا رسو للأخذ بهذا الرأي عن الطبيعة الإنسانية عدد من الاعتبارات أولها أن الأغنياء من الأطفال في عصر رسو كانوا يرسلون إلي

الريف ليقوم بتربيتهم مربيات ريفيات كي تكون الأم حرة في أن تذهب كما تشاء، لذا رأي رسو أنه من الحمق والظلم ترك الأطفال في بدء حياتهم إلي نساء جاهلات لتربيتهم مع جهلهن بشئون التربية، وثانيها: أن النظام الاجتماعي السائد في ذلك الوقت كان مملوءا بالمفاسد، وأن مرجع هذه المفاسد هي القيود التي فرضها المجتمع علي الإنسان فأفسدته وغيرت طبيعته السمحة الطيبة، لذا فإنه دعا إلي تحرير الإنسان من الأغلال الخارجية التي أقامتها الأوضاع الاجتماعية لصالح فئة من الناس جعلت جميع خيوط السلة في أيديها، وثالثها أن رسو لم يقنع بالحياة التي عاشها والتي اتسمت بالخمول والكسل واللهو والضلال فقد ضلته المدينة وأغوته باريس إلي جانب أنه كان يسكن في فندق مع خادم خسيس الطبع دنئ النفس يميل إلي الرذيلة ولا يعرف الفضيلة، فأفسد أخلاق رسو وهو غلام وأراد أن يعوض ما ففقده من المثل الأعلى من الفضيلة في حياته العملية ولكنه لم يستطع فتخيلها من خلال ما أبداه من آراء وأفكار ومثل عليا في كتابه "أميل".

وإذا كان رسو قد دعا لإطلاق الحرية للطفل في التعامل مع الطبيعة باعتبار أن الطبيعة خير معلم وإرجاع الطفل إلي الطبيعة خير تربية له، إلا أن رسو واجهته مشكلة وهي أن المجتمع ضرورة حتمية في ظل مجتمعاتنا المدنية وأنه لا يمكن فصل الإنسان عن المجتمع، وحلا لهذا الإشكال وتوفيقا للتناقض بين مطالب المتجمع الإنساني وضرورات تحقيق حرية الإنسان، فإن جان جاك رسو نادى بتغيير المجتمع وإقامة مجتمع للعدالة يستند علي التعاقد الحر بين الناس، ففي ديباجة كتابة العقد الاجتماعي يقول: "ولد

الإنسان حرا ولكنه في كل مكان مكبل بالأغلال، وهذا ما يتصوره السيد يتحكم في الآخرين وهو أكثر منهم عبودية".

وقد انعكست آراء رسو عن مكونات مفهوم الطبيعة الإنسانية علي التربية، حيث أكد علي التربية السلبية وليست الإيجابية بمعنى أنها تربية أكثر نشاطاً وفاعلية علي خلاف ما يتصور البعض لأنها لا تعطي الطفل أية فضائل ولا تكسبه أية حقائق عن العالم، وهي لا تحميه ضد الرذائل ولا تمنعه عن الخطأ، وإنما هي تعد الطفل لأي شيء يمكن يوصله إلي الحقيقة عندما يصبح قادراً علي فهم الحقيقة، وإلي عمل الخير عندما يصبح قادراً علي حب الخير، ولقد أوضح رسو أن الهدف من التربية السلبية ليس إنتاج أولاد عنيدين ولا يحترمون آباءهم أو معلميهم وإنما هي تربية مستهدفة ومخطط لها، فالمعلم أو الأب يهيء ظروف التعلم للطفل ولكنه لا يظهر واضحا في الصورة، وإنما يلعب من خلف الستار تاركا للطفل حرية العمل والنشاط دون أن يعلم أن الموقف كله معد من قبل بواسطة المعلم أو المربي، بمعنى أن يترك الطفل في الطبيعة يربي نفسه بنفسه وبذلك ينشأ حراً جديراً بأن يكون في دولة حرة.

□ – مكونات مفهوم الطبيعة الإنسانية شريرة في أصل الخلقة

أكد بعض الفلاسفة علي أن مكونات الطبيعة الإنسانية شريرة بطبيعتها، وأن الخير أمر طارئ عليها، وأن ذلك الشر في الإنسان هو بالفطرة وليس للتربية أو للظروف الاجتماعية أي دور فيها، بل أن جذوره متاصلة في طبيعة الإنسان، ومن الفلاسفة الذين أكدوا هذه النظرة الشريرة

لمكونات الطبيعة الإنسانية رجال الدين المسيحي الذين اعتقدوا في خطيئة الإنسان التي ورثها عن آدم عليه السلام، ولم يكن لتفسيرهم لمكونات الطبيعة الإنسانية أي تطبيق سياسي أو اقتصادي لأنه لا توجد المساواة بين الأفراد في المجتمع – آنذاك – بل إن المجتمع ينقسم إلي طبقات اجتماعية متفاوته، وهم يعتقدون أن الروح تسمو علي الجسد وعلي الإنسان أن يتصرف بجهده لقمع شهوات الجسم والإرتفاع بروحه بوسائل التقشف والزهد والحرمان، ومصدر الشر في هذه النظرة لمكونات الطبيعة الإنسانية هي أن كون آدم عليه السلام سولت له نفسه وطبيعته الشريرة أن يعصي ربه ويأكل من الشجرة التي حرمها المولى عز وجل عليه، ومن ثم فليست هذه الخطيئة مقصورة علي آدم عليه السلام وحده وإنما ورثها جميع أبنائه البشر أجمعين، ويستدلون علي ذلك بأنهم يخضعون تربية أبنائهم للقسوة حتى يتحرروا من الخطيئة ويقوم المعلمون الذين سبقوهم في التطهر من رجال الدين ومن يمثلوهم من المعلمين والكبار، وبذلك يتبين أن هذه النظرة المسيحية لمكونات الطبيعة الإنسانية علي أنها شريرة بطبيعتها قد انعكست علي التربية، حيث كان المعلمون يعاملون التلميذ بقسوة وعنف إذا أهمل ولم يحفظ الدرس.

ومن الفلاسفة الذيبن نظروا لمكونات الطبيعة الإنسانية علي أنها شريرة، الفيلسوف الإنجليزي، توماس هوبز Hobbs الذي أكد أن الطبيعة الإنسانية شريرة في جوهرها لما تنطوي عليه من حب القتال، وإنه من الخطأ الاعتقاد بغريزة اجتماعية تحمل الإنسان علي الاجتماع والتعاون، وإنما الأصل أو حال الطبيعة الإنسانية أن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان، وأن الكل في حرب ضد الكل، وأن الحاجة واستشعار القوة يحملان الفرد علي

الاستئثار بأكثر مما يستظفر به من خيرات الأرض وإن أعوذته القوة لجأ إلي الحيلة، ولتفسير ذلك، فإن توماس هوبز يبين أن في طبيعة الإنسان ثلاثة أسباب رئيسية تدفعه إلي النزاع والمقاتلة، "وأول هذه الأسباب: المنافسة، وثانيا: سوء الظن، وهنا يكون استخدام العنف من أجل حمايته لنفسه، وثالثا: حب المجد والتفاخر بالمال"، فالسبب الأول يحمل الناس علي اللجوء للعنف كي يجعلوا أنفسهم سادة لغيرهم، والثاني ليحميهم، والثالث من أجل أمور توافه مثل لفظه أو ابتسامة أو رأي مخالف.

□ – الطبيعة الإنسانية تجمع بين الخير والشر معا

اختلف آراء الفلاسفة حول النظر للطبيعة الإنسانية من منظور الخير والشر، إذ نظر البعض للطبيعة الإنسانية علي أساس أنها طبعت علي الخير والشر معا، بمعنى أن الخير والشر فطريين لا دخل للبيئة فيهما، علي حين ذهب البعض الآخر إلي أن الطفل يولد ولا تتكون فطرته بالخير ولا بالشر ولا تنسب إلي واحد منها ويظل حتى سن معينة لا يدرك ما يفعل ولا يعي ما يصدر عنه من تصرفات وهو في نفس الوقت لديه مجموعة من الاستعدادات التي يمكن من خلالها أن توجه سلوكه ليكون خيرا أو شريرا.

ومن المؤيدين لوجهة النظر الأولى جالينوس، إذ يرى "أن بعض الناس قد طبعت فطرتهم علي الخير وهم قليلون جدا، وآخرون طبعت فطرتهم علي الشر وهم الأكثرون، ولا يمكن أن ينتقلوا إلي الخير، وبعض ثالث توسطت فطرتهم بين الخير والشر فكانت مستعدة لكل منهما، وهؤلاء يمكن تغيير أخلاقهم من الخير إلي الشر أو العكس تبعا للعوامل المختلفة

والدوافع المؤثرة"، وبهذا فإن جالينوس لا يقطع بحكم واحد بالنسبة لجميع الناس ولا يطلق القول بالخير أو الشر للطبيعة الإنسانية، وإنما وقف موقفا وسطا فيما يتعلق بفطرية مكونات الطبيعة الإنسانية المتمثلة في الخير والشر.

ويستدل القائلون بفطرية مكونات الطبيعة الإنسانية المتمثلة في الخير والشر علي قولهم بدليلين:

الأول: أن طبع الإنسان وخلقه مثل هيأته فكما أنه لا يمكن تغيير هيئة الإنسان فكذلك لا يمكن تغيير طبيعته وفطرته التي خلقه الله عليها.

الثاني : أن كثيرا من الروحيين والمتصوفة ممن جاهدوا أنفسهم لتحطيهم قوتهم وغرائزهم الشهوانية أو الغضبية لم يحققوا نجاحا.

وفي هذا الصدد يرى الغزالي، أن الطبع والخلق مثله مثل هيئة الإنسان ذلك أنه بالرغم من الصعب تغيير هيئة الإنسان، فإنه يمكن تجميلها وتحسينها، وكذا الأمر بالنسبة للأخلاق، فإنه يمكن تجميلها وتهذيبها، أما الدليل الثاني: فمن السهل الرد عليه بأن هناك كثيرا من الناس نجحوا في كبح جماح شهواتهم وأنه إذا كان من الممكن ترويض الحيوان واستئناسه، فإن ذلك ايسر بالنسبة للإنسان، فالأخلاق لو كانت لا تقبل التغيير لبطلت المواعظ والوصايا والتأديبات ولما قال الرسول –صلى الله عليه وسلم- "حسنوا أخلاقكم".

وبذلك يتبين أن هذه النظرة لمكونات الطبيعة الإنسانية تؤكد أن الناس إما أن يكونوا مفطورين علي الخير أو مفطورين علي الشر، أو وسط بينهما،

وأن دور التربية هنا أن تنقل الأفراد الذين يتوسطون بين الخير والشر إلي الخير الكامل وذلك من خلال الأساليب التربوية المختلفة، أما الأفراد المفطورون علي الشر فإنه لا طائل منهم مهما استخدمنا الأساليب التربوية، كما يرى ذلك جالينوس.

أما وجهة النظر الثانية والتي ترى أن مكونات الطبيعة الإنسانية ليست خيرة ولا شريرة بالفطرة، بل أن بها استعدادا لأن تكون خيرة أو شريرة، وهذا يتوقف علي التربية وظروف البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد، وقد أكد هذه النظرة كثير من الفلاسفة والمربين المحدثين أمثال برتراند رسل Bertrand Russell وأميل دوركايمDurkheim وامانويل كنط E. Kant إذ يرى كنط أن الطفل عند ولادته لا توصف فطرته بالخير ولا بالشر ولا تنسب إلي واحد منها، وإنما هو في هذا الوقت حتى سن معينة لا يدرك ما يفعل ولا يعي ما يصدر عنه من تصرفات، وبهذا فالإنسان علي الفطرة به الاستعدادات ليكون خيرا أو شريرا، وهذا يتوقف علي التنشئة الاجتماعية والتربية، ومن المؤيدين لهذه النظرة – أيضا – الإمام الغزالي باعتباره أحد المفكرين الإسلاميين حيث يرى أن الصبي "أمانة عند والديه وأن قلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش وماثل إلي كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وثواب لأبواه وكل متعلم له مؤدب وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقى وهلك وكان الوزر في رقبه القيم عليه والوالي" وقد أكد هذه النظرة أيضا ابن خلدون حيث رأي "أن النفس مهيئة للخير والشر معا ولكن استعدادها للخير أكثر، فالإنسان أقرب للخير من حيث إنه إنسان.

والطبيعة الإنسانية من وجهة نظر هذا الاتجاه لديها الاستعداد لأن تكون خيرة أو شريرة، وهذا يتوقف علي التنشئة الاجتماعية، والتربية التي يتلقاها الفرد، ودور التربية هنا يتوقف علي تنمية الطبيعة الخيرة للإنسان باعتبار أنها تنمو من خلال الوسائل والأساليب التربوية التي يتم تطويعها لفعل الخير.

تبين مما سبق أن الفلاسفة الذين نظروا للطبيعة الإنسانية علي أنها تجمع الخير والشر معا قد انقسموا إلي فريقين، حيث أكد الفريق الأول – جالينوس – علي أهمية الفطرة في تكوين جانبي الخير والشر للإنسان علي حين أكد الفريق الآخر – كنط والغزالي وابن خلدون – علي أهمية التربية والتنشئة الاجتماعية.

النظرة الغرائزية لمكونات الطبيعة الإنسانية

تأثر أصحاب النظرة الغرائزية لمكونات الطبيعة الإنسانية بمفهوم التطور، وبنتائج علم الحياة، وذهبت هذه النظرة إلي أن التركيب العضوي للإنسان يفسر نشاط واتجاهاته وأن طبيعته العضوية تعتبر حقيقة علمية ثابتة بالرغم من تنوع سلوك الأفراد باختلاف الثقافات، إذ يؤمن أصحاب هذه النظرة بأن الطبيعة الإنسانية هي الطبيعة العضوية للفرد، ودراسة هذه الطبيعة توفر لنا المعرفة الخاصة بحاجاته الأساسية وقدراته ودوافعه الأولية ورغباته وميوله الدائمة والمبادئ التي تحدد نموه وطرق تعلمه.

وتعد الدراسة للفرد من الناحية العضوية أمرا علي قدر كبير من الأهمية، لتفسير سلوكه، وذلك من خلال التعرف علي مطالبه وحاجاته ودوافعه فهو يحتاج لأن يتنفس ويأكل وينام ويتناسل بمعنى أنه يجب أن يقوم بوظائفه الحيوية حتى يكتب له البقاء، ومن ناحية أخرى فإن معرفة الطبيعة العضوية للفرد تفيد في التعرف علي قدراته التي تكون لها حدود معينة لا يستطيع الفرد أن يتجاوزها "بعض هذه الحدود يشترك فيها الفرد مع أفراد الجنس البشري، وبعضها الآخر يتحدد بمرحلة النمو التي وصل إليها، فمن النوع الأول الذي يشترك فيه الفرد مع أفراد الجنس البشري، وبعضها الآخر يتحدد بمرحلة النمو التي وصل إليها، فمن النوع الأول الذي يشترك فيه الفرد مع أفراد الجنس البشري كله أنه لا يستطيع أن يتنفس في الماء أو أن يطير في الهواء، ومن النوع الثاني أن الطفل لا يستطيع أن يجري كما يجري الرجل الكبير، ومن النوع الثالث أن الطفل الذي يكون ضعيف العقل لا تتوقع له أن يصل إلي المرحلة الجامعية مثلا".

وتقترن هذه النظرة العضوية للطبيعة الإنسانية بالغرائز التي نادى بها مكدوجال Mcdougall والذي استند إلي الغرائز كدوافع فطرية معقدة للسلوك الإنساني إلي فلسفة غائبة تزعم أن الكائنات مسيرة لتحقيق أغراض مرسومة سواء شعرت بها أم لم تشعر، ولذلك سلحتها الطبيعة بدوافع واستعدادات تحقق بها هذه الأغراض وكأنها مسوقة إليها سوقا، وقد نظر مكدوجال للطبيعة الإنسانية علي أنها مقسمة إلي مجموعة من الغرائز التي توجه سلوكه وتسيطر عليه، ويعرف مكدوجال الغريزة بأنها استعداد نفسي وعضوي وهو استعداد فطري موروث يحتم علي حامله أن يدرك أو ينتبه

إلي فئة معينة من الموضوعات وأن يعاني آثارا وجدانية ذات لون معين إذا ما أدرك هذا النوع من الموضوعات كما يحتم عليه أن يقوم بفعل معين".

وعلي ذلك فالغريزة استعداد فطري جسمي نفسي يدفع الكائن الحي لأن يدرك مثيرا خاصا وينفعل حياله انفعالا خاصا ثم ينزع أو يشعر علي الأقل حياله بالرغبة في النزوع منزعا خاصا، وأن لكل غريزة ثلاثة جوانب، جانب إدراكي يتعلق بإدراك الكائن لمثيرات معينة، وجانب وجداني يتعلق بالنشاط الوجداني الذي يصاحب الإدراك، وجانب نزوعي وسلوكي وهو يتعلق بالسلوك الذي يسلكه الفرد لإشباع غريزته.

وقد حدد مكدوجال أربع عشرة غريزة عند الإنسان يقابل كلا منها انفعال، وهذه الغرائز هي:

1 – غريزة الوالدين	وانفعالها	الحنو
2 – غريزة الاستطلاع	وانفعالها	التعجب
3 – غريزة الهرب	وانفعالها	الخوف
4 – غريزة المقاتلة	وانفعالها	الغضب
5 – غريزة النفور	وانفعالها	الاشمئزاز
6 – غريزة البحث عن الطعام	وانفعالها	الجوع
7 – غريزة الجنس	وانفعالها	الشهوة
8 – غريزة الاستغاثة	وانفعالها	الشعور بالضعف
9 – غريزة السيطرة	وانفعالها	الزهو

10 – غريزة الخضوع	وانفعالها	الخضوع والاستكانة
11 – غريزة التملك	وانفعالها	حب الملكية
12 – غريزة الحل والتركيب	وانفعالها	حب العمل
13 – غريزة الاجتماعية	وانفعالها	الشعور بالوحدة
14 – غريزة الضحك	وانفعالها	التسلية والمرح

وأضاف مكدوجال إلي هذه الغرائز أربع غرائز أخرى هي: الراحة والنوم والهجرة ومجموعة غرائز تتصل بحاجات الجسم، ويقصد بالانفعال المقابل للغريزة هو الهيجان الذي يحدث للإنسان إذا لم يستطع إرضاء غريزته، وهكذا فالإنسان إذا قاتل أرضى غريزة وإلا شعر بالغضب، وإذا هرب تخلص من الخطر وإلا شعر بالخوف.

وقد اختلف علماء النفس حول عدد هذه الغرائز وذلك بسبب تعقد الحياة الإنسانية في جوانبها الإدراكية والانفعالية والسلوكية، وغير ذلك بإضافة غرائز أخرى حيث نجد أن وليم جيمس حدد هذه الغرائز باثنتين وثلاثين غريزة بينها الغيرة والخجل والنظام، وعند ثورنديك اثنتان وأربعون غريزة بينها البكاء والسعال والابتلاع، ودعا هذا علماء النفس لوضع تصنيف عام للغرائز لا يقوم علي بيان مظاهر السلوك، ولكن يقوم علي الغاية الحيوية الموجهة للسلوك ولعل أشملها وأعمها تصنيف فرويد الذي ذهب إلي أن جميع الغرائز يمكن حصرها تحت غريزتين أساسيتين هما غريزة الحياة وغريزة الموت.

وقد انتقد بعض العلماء فطرية الغرائز الذي ذهب إليها مكدوجال، وذلك من خلال عديد من الشواهد، فغريزة الملكية مثلا تدحضها بعض القبائل التي تحيا حياة مشتركة، وبالمثل غريزة المقاتل ينكرها السلام الدائم بين بعض القبائل غير المتحضرة، ثم هناك أناس لا أثر للسيطرة عندهم وأناس لا يميلون للاندماج في المجتمع ولو كانت الغرائز فطرية وعامة في النوع كله كما يقول مكدوجال لما أمكن أن نجد لها ظواهر تخالفها.

وقد تاثر مكدوجال باتجاهين، الأول: الاتجاه العلمي في تفسير السلوك، وقد كانت لكتابات دارون "أصل الأنواع" و "نشوء الإنسان" الأثر الأكبر في تأثر مكدوجال بالتفسير العلمي للسلوك، ومن ناحية ثانية فإن مكدوجال تأثر بالنظام الاجتماعي السائد الذي نما في ظل الرأسمالية الصناعية واستخدام الأساليب التكنولوجية وانتشار الاستعمار مما دفعه ليؤكد أن النظام الرأسمالي وما طرحه من نظم اجتماعية هو أفضل النظم وأقواها، ذلك أنه يقوم علي تقسيم العمل الذي يؤدي بالضرورة إلي ظهور طبقتين أساسيتين هما طبقة أصحاب رأس المال، وطبقة العمال، وأن التفاوت الطبقي يصبح جزءا من النظام الاجتماعي، وأن علي الجميع أن يقبلوا تلك التفاوتات وهو بذلك ترجمة لاختلاف قدرات الناس وتفاوت استعداداتهم ومستويات ذكائهم.

وقد خيبت النظرة الغرائزية آمال الكثيرين في إمكانية إصلاح النظام الاجتماعي وما يتضمنه من اتجاهات الظلم والقسوة والحرب والتي كان يعزي قيامها للطبيعة الغريزية الفطرية في الإنسان، وفي غريزة المقاتلة لديه، ومعنى ذلك فأنه لابد أن تبقى الحروب أما إذا نظرنا للطبيعة الإنسانية علي أنها عادات مكتسبة بدلا من غرائز فطرية موروثة، فإن الأمل يصبح

كبيرا في الإصلاح الاجتماعي انطلاقا من إمكانية تعديل السلوك واكتساب عادات سليمة ينعكس أثرها علي تقدم حياة الفرد والجماعة.

وإذا كانت الغرائز فطرية فإن تغييرها في الأفراد يعد مستحيلا، وقيام نظام اجتماعي علي هذا الأساس يعني جموده وصعوبة تغييره، كما أن الأفراد الذين يولدون ولديهم قدرة عقلية فطرية أكبر، فأن أبناءهم سيرثون هذه القدرة العقلية الفطرية ومن ثم يحصلون علي مستوى من التعليم أعلى من المستوى الذي يحصل عليه أبناء الأفراد الذين ولدوا ولديهم قدرة أقل هذه القدرة العقلية الفطرة، ومن ثم فإن الأبناء الذين يحصلون علي مستوى أعلى من التعليم سيحتلون المراكز والمناصب القيادية والسياسية في المجتمع بحكم ما ورثوه من قدرة عقلية فطرية عالية، ويحكم ما وصلوا إليه من مستوى تعليمي يتفق مع هذه القدرة الفطرية وهذا بدوره يؤدي إلي جمود النظام الطبقي ويظل علي ما هو عليه دون تغيير أو تعديل ودون أن يطمع أبناء طبقة دنيا أو حتى متوسطة من الوصول إلي المراكز الاجتماعية العليا مما يؤدي إلي ما يسمى بالحتمية الاجتماعية، وهي الإبقاء علي الطبقات الاجتماعية جامدة بعيدة عن التغيير ويصبح علي الفرد الذي ولد في طبقة معينة أن يظل فيها إلي الأبد، وبهذا فإنه يفضي علي مبدأ التغيير الاجتماعي وعلي مبدأ التحسن بالنسبة للمستقبل بل ويقضي علي الأمل في إمكان إقامة وضع اجتماعي أفضل، وبذلك فإن الوراثة أكثر تاثيرا من البيئة، وبذلك يصبح مجهود الفرد من أجل تحسين وضعه ومستقبله ضربا من الخيال.

النظرة الفردية والمجتمعية لمكونات الطبيعة الإنسانية

تفسر هذه النظرة الطبيعية الإنسانية من المنظور الفردي وتمثل هذا الاتجاه الفردي في الفلسفة البرجماتية ويعتبر الفيلسوف الأمريكي Ch. S. Peirce 1849 – 1914 أول من استخدم هذا الاصطلاح لأول مرة ، ويمكن أن نجمل أهم السمات التي تكون مفهوم الطبيعة الإنسانية في الفلسفة البرجماتية فيما يلي:

- تقوم هذه الفلسفة علي أساس الإيمان بالفرد باعتباره حجر الزاوية في تقدم المجتمع، ومن ثم فأنها تعمل علي إطلاق طاقاته المبدعة وإزالة العقبات التي تعترض طريقة، وإزكاء روح المنافسة بين الأفراد، وذلك من خلال تزويد عقله بالقوة المحركة وهي العلم والقدرة علي التفكير السليم.

- لا تؤمن البرجماتية بالقيم الثابتة المطلقة التي تدعو إليها الأديان ولكنها تؤمن بها علي أساس أن الإنسان هو صانعها وخالقها، ومن هنا فالقيم والمثل متغيرة بتغير الحياة، وأنها حين تنفع الناس تمثل الحق الذي لا وجود له في ذاته، بل أن وجوده يظهر من خلال نفعيته للناس، وبذلك فالبرجماتي "لا يعتقد في الله لذات الله، ولكنه يؤمن به لأن هذا أجلب للراحة والنفع".

- تؤمن البرجماتية بأن الإنسان هو الذي يصنع مثله بنفسه، ويبني الحقيقة بنفسه لأنه هو الذي يجرب، فمقياس الحق هو التجربة النافعة لأكبر عدد من الناس ولأطول فترة زمنية.

- تؤمن البرجماتية بضرورة مشاركة الأفراد في ثقافة مجتمعهم، وأن من أهم عوامل اكتساب الخبرة هو توفر الديمقراطية كاسلوب حياة، وأن الديمقراطية تتطلب حواراً.

شفاء النفس

قال تعالى (قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ) سورة يونس آية 57.

وقال تعالى (وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا) سورة الإسراء آية 82.

نعم فيه شفاء للنفس فبالقرآن تتحول النفس القلقة أو النفس اللوامة إلي النفس المطمئنة قال تعالى (أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ) سورة الرعد

أية 28، فالمريض النفسي يحتاج إلي طبيب نفسي مختص وجلسات نفسية لسماع شكواه وإشعاره بالاهتمام به والقيام بعمل تحليل نفسي له ثم تقديم العلاج له في صورة جلسات نفسية للتعامل مع مشاكله وشكواه.

فما بالك لو كانت هذه الجلسات النفسية أخذت صورة جلسات نفسية وروحية مع خالق النفس ورسوله وقرآنه وبيانه الذي نفخ الروح في هذا الجسد وهو العالم بالظاهر والباطن وهو وحده الذي يعلم ما في الصدور ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وهو الذي سوى النفس وأحسن الخلق وهو القادر علي علاج وشفاء ما في الصدور حتى لو أخفيت الشكوى أو لم تدركها بوعيك الظاهر، فإنك في حالة تقديم شكواك إلي الطبيب المعالج يمكن أنه تستحي أن تعبر عن كل شكواك أو قد تنسى أو قد ينسى الطبيب

المعالج أن يسألك عن أشياء تكون هامة في علاجك وأيضا ربما تنقصه بعض الخبرة، وأيضا هناك اختلافات في مدارس العلاج المختلفة حيث إن التغييرات المستمرة والتطور وفي العلاج الحديث اليوم سوف يصبح قديما في القريب العاجل علي سبيل المثال ظهور علماء تنمية بشرية وبرمجة لغوية وعصبية سريعة التطور بعد أن كان التعامل مع العقل البشري عن طريق علماء النفس وعلماء الاجتماع فقط وبعد دراسة مستفيضة أيضا وجد أن التدين والإيمان وما يحتويه القرآن وما تحتوي عليه السنة المشرفة هو أفضل الطرق وبها أفضل الأساليب للتعامل مع النفس البشرية والنهوض بها وتزكيتها وبث الحافز للمسلم علي النجاح في الدنيا والفوز بالآخرة وحب الغير لما فيه فوائد للنفس وهي تشجع علي مكارم الأخلاق لتسهل تعامل المسلمين وجعلهم أخوة.

ولابد أن يعلم المسلم حينما يتوجه بشكواه إلي الله في خشوع ومناجاة ومحبة ولديه ثقة ويقين في الإجابة، فيصبح مطمئن النفس فلا يجب أن يشكو المؤمن لغير الله ولا ينتظر الرد أو الرحمة من غير الرحمن قال تعالى (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ) سورة البقرة آية 186، نعم فهو السميع المجيب وهو الرؤوف الرحيم.

العلاج النفسي في القرآن الكريم

نزل القرآن الكريم أساسا لهداية الناس ولدعوتهم إلي عقيدة التوحيد ولتعليمهم قيماً جديدةً وأساليب جديدة في التفكير والحياة ولإرشادهم إلي السلوك السوي السليم الذي فيه صلاح الإنسان، وخير المجتمع، ولتوجيههم إلي الطرق الصحيحة لتربية النفس وتنشئتها تنشئة سليمة تؤدي بها إلي بلوغ الكمال الإنساني وسعادة الإنسان في الحياة الدنيا والفوز في الآخرة.

قال تعالى: (إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) الإسراء آية 9.

وقال تعالى (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) سورة يونس آية 57.

ولقد كان للقرآن الكريم أثر عظيم الشأن في نفوس العرب فقد غير شخصياتهم تغييراً تاماً وكون منهم مجتمعاً متحداً منظماً متعاوناً يتحلى بمكارم الأخلاق فاستطاعوا أن يهزموا الروم والفرس أكبر دولتين في العالم في ذلك الوقت وانتشروا في معظم بلاد العالم، وقاموا بنشر دعوة الإسلام فيهما ولا شك أن في القرآن طاقةً روحيةً هائلةً ذات تأثير بالغ الشأن في نفس الإنسان فهو يهز وجدانه ويرهف أحاسيسه ومشاعره ويصقل روحه ويوقظ إدراكه وتفكيره ويجلي بصيرته فإذا بالإنسان بعد أن يتعرض لتأثير القرآن يصبح إنساناً جديداً كأنه خلق خلقا جديدا.

وقد بُذلت أخيراً جهوداً كثيرة في ميدان العلاج النفسي للأفراد الذين يعانون من اضطرابات وأمراض نفسية، غير أنها جميعا لم تحقق النجاح المرجو في القضاء علي الأمراض النفسية أو الوقاية منها فقد بينت بعض الدراسات أن معدلات الشفاء بين المرض النفسيين الذين يعالجون بطريقة التحليل النفسي تتراوح بين 60% إلي 64% وهي معدلات غير مرضية إذا أخذنا في اعتبارنا أن معدلات المرضى النفسيين الذين يتخلصون من أعراضهم من غير أن يعطو أي علاج نفسي تتراوح بين 44% إلي 66% أضف إلي ذلك أن بعض المرضى كانت تسوء حالتهم بعد العلاج النفسي.

وفضلا عن ذلك فإنه ليس من المهم أن تقوم بعلاج الأمراض النفسية بعد حدوثها، ولكن الأهم والأفضل هو أن تعمل علي الوقاية منها ومنعها حيث إن هذه المدارس العلاجية تنظر إلي الإنسان كفرد ومن زاوية معينة ومحددة ولم تستطيع أن تنظر إليه نظرة شاملة ، الأمر الذي جعلها عاجزة عن فهم الإنسان فهما سليما ودقيقا وبطبيعته الاجتماعية والثقافية، ويقول شيلدون كاشدان: إن نموذج المستقبل قد يزداد تأكيده علي ما يربط بين الإنسان من اعتماد بعضهم علي بعض.... ولذلك تقول إن بعض المفاهيم من قبيل العلاقة الوثيقة، والتبادل والالتزام قد تحل في آخر الأمر محل مفاهيم من قبيل الأنا الأعلى.

وقد بدأت كذلك تظهر حديثا اتجاهات بين بعض علماء النفس تنادي بأهمية الدين في الصحة النفسية وفي علاج الأمراض النفسية وترى أن في الإيمان بالله قوة خارقة تمد الإنسان المتدين بطاقة روحية تعينه علي تحمل مشاق الحياة وتجنبه القلق الذي يتعرض له كثير من الناس الذين يعيشون في

هذا العصر الحديث الذي يسيطر عليه الاهتمام الكبير بالحياة المادية والذي يفتقر في الوقت نفسه إلي الغذاء الروحي بما يسبب كثيراً من الضغط والتوتر لدى الإنسان وجعله عرضة للإصابة بالأمراض النفسية وقد نادى بذلك علماء النفس ونذكر منهم – الفيلسوف وعالم النفس الأمريكي وليم جيمس حيث قال: إن أعظم علاج للقلق ولا شك هو الإيمان وقال أيضا "الإيمان من القوى التي لابد من توافرها لمعاونة المرء علي العيش وفقده نذير بالعجز عن معاناة الحياة" وقال أيضا "إن بيننا وبين الله رابطة لا تنفصم فإذ نحن أخضعنا أنفسنا لإشرافه تعالى : تحققت كل أمنياتنا وآمالنا فالرجل المتدين حقا عصى علي القلق النفسي" كما قال الأستاذ المحلل النفسي أ.أ. بريل.

وذكر العالم النفسي الأمريكي هنري لينك في كتابه "العودة إلي الإيمان" أنه وجد نتيجة خبرته الطويلة في تطبيق الاختبارات النفسية علي العمال في عملية الاختيار المهني أن الأشخاص المتدينين والذين يترددون علي دور العبادة يتمتعون بشخصية أقوى وأفضل من لا دين لهم أولاً يقومون بأية عبادة، وقد أشار المؤرخ أرنولد توينبي إلي أن الأزمة التي يعاني منها الأوربيون في العصر الحديث إنما ترجع في أساسها إلي الفقر الروحي وأن العلاج الوحيد لهذا التمزق هو الرجوع إلي الدين.

الإيمان والشعور بالأمن

تتفق جميع مدارس العلاج النفسي علي أن القلق هو السبب الرئيسي في ظهور أعراض الأمراض النفسية وعلي هذا تتفق هذه المدارس أيضا علي أن الهدف الرئيسي للعلاج النفسي هو التخلص من القلق وبث الشعور بالأمن والاطمئنان أما في الدين الإسلامي خاصة إذا بُث الإيمان بالله منذ الصغر في الإنسان فإنه يكسبه مناعة ووقاية من الإصابة بالأمراض النفسية.

قال تعالى (ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ) سورة الرعد آية 28.

قال تعالى (مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ) سورة التغابن آية 11.

وتتحقق للمؤمن سكينة النفس وأمنها وطمأنينتها لأن إيمانه الصادق بالله يمده بالأمل والرجاء في عون الله و رعايته وحمايته ورضاه فالمؤمن الصادق الإيمان لا يمكن أن يتملكه الخوف والقلق وهو أخطر الأمراض النفسية.

قال تعالى (بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ) سورة البقرة آية 112.

والمؤمن الصادق الإيمان يعلم أيضا أنه ورزقه بيد الله ولذلك فهو لا يخاف الفقر.

قال تعالى (وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ) سورة الذاريات آية22.

قال تعالى (وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا) سورة هود آية6.

والمؤمن الصادق لا يخاف الموت، وأن لكل إنسان أجلا محددا وأن الموت حق قال تعالى (كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ) سورة آل عمران آية 185.

قال تعالى (أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ) سورة النساء آية 78.

وإن المؤمن الصادق الإيمان يعلم أنه في هذه الحياة الدنيا ليست إلا عابر سبيل وأن الحياة الآخرة هي الباقية فيجب أن يعد الإنسان في الدنيا ما ينفعه في الدار الآخرة.

قال تعالى (بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ) سورة الأعلى أية 16، 17.

قال تعالى (وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٖ) سورة الشورى آية 20.

والمؤمن الصادق الإيمان لا يخاف من مصائب الدهر فهو يؤمن بقضاء الله وقدره قال تعالى (وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) سورة الأنبياء آية 35.

والمؤمن الصادق الإيمان لا يجتر أحزانه ولا يعيش مهموما أسيرا لذكريات الماضي قال تعالى (مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) سورة الحديد آية 22 ، 23.

والمؤمن الصادق الإيمان لا يشعر بالقلق الناشئ عن الإحساس اللاشعوري بالذنب وهو الإحساس الذي يعاني منه كثير من المرضى النفسيين فإنه لا يلبث أن يتذكر خطأه ويعترف به ويستغفر الله تعالى ويتوب إليه.

قال تعالى (قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ) سورة الزمر آية53.

والعكس تماما فإن فقدان الإيمان بالله يجعل الحياة خالية من المعاني السامية – والقيم الإنسانية النبيلة ويفقد الإنسان الشعور برسالته الكبيرى في الحياة كخليفة الله في الأرض فتضيع منه الرؤية الواضحة لأهدافه الكبرى في الحياة وهي عبادة الله تعالى والتقرب إليه ومجاهدة النفس في سبيل بلوغ

قدر المستطاع إلي الكمال الإنساني الذي يحقق له التوازن النفسي السعادة والطمأنينة في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة.

قال تعالى (وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ) سورة الحج آية 31.

إن الإيمان بالله واتباع منهجه في القرآن الكريم وبيانه في السنة هو السبيل الوحيد للتخلص من الهم والقلق والعكس يسبب الضنك والقلق.

قال تعالى (قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ) سورة طه آيات123 ،124.

الإيمان وشعور الانتماء إلي الجماعة

يحث القرآن المؤمن علي أن يحب إخوانه المؤمنين وأن يحسن إليهم ويمد لهم يدا العون قال تعالى (إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ) سورة الحجرات آية 10.

ويحث القرآن المسلمين علي التعاون والتكافل بحيث يشعر المؤمن أنه لبنةٌ في بناءٍ واحد قال تعالى (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ) سورة المائدة آية2.

وقد حرص القرآن علي بث روح الجماعة في نفوس المسلمين بفرض صلاة يوم الجمعة وصلاة الجماعة وقال تعالى (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ) سورة الرعد أية 11.

الإيمان بعقيدة التوحيد

إن أول شيء أراد القرآن أن يغيره في نفوس العرب هو العقيدة ولذلك فإن آيات الذكر الكريم التي نزلت بمكة في المرحلة الأولى من الدعوة والتي استمرت حوالي (13) ثلاثة عشر عاما كانت تهدف في الأساس إلي تأكيد عقيدة التوحيد وعبادة الله الواحد وكان كل ما هو مطلوب من المسلم هو الاحتفاظ بالشهادتين نطقا ويقينا حتى يملأ قلب المسلم بالحب لله وللرسول ويبعث فيه الشعور بالأمن والطمأنينة.

قال تعالى (قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤) سورة الإخلاص.

التقـــــوى

تصاحب الإيمان بالله وتتبعه تقوى الله والتقوى هي أن يقي الإنسان نفسه من غضب الله وعذابه بالابتعاد عن ارتكاب المعاصي ، والالتزام بمنهج الله تعالى الذي رسمه لنا القرآن وبينه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويتضمن مفهوم التقوى تحكم الإنسان في دوافعه وانفعالاته وسيطرته علي أهوائه لضبطها والتحكم فيها وإشباعها في الحدود المسموح بها شرعا.

قال تعالى (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ) سورة الحديد آية 28.

وقال تعالى (وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا) سورة الطلاق آية 4.

العبـــادات

فالعلاج النفسي لا يكفي لشفاء المريض أن يعرف حقيقة مشكلته فقط وأن تتغير أفكاره عنها، وأن تتغير نظراته لنفسه وإلي الحياة بل إنه من الضروري أيضا أن يمر المريض النفسي بخبرات جديدة في الحياة يطبق فيها أفكاره الجديدة عن نفسه وعن الناس وأن يرى بنفسه كيف أن سلوكه الجديد قد حقق نجاحا في علاقاته وأحدث تغيرا واضحا في سلوك الناس الآخرين نحوه مما يؤدي إلي نتائج مرضية ويسير نحو الشفاء خطوة بخطوة ففرض الله تعالى العبادات علي المسلم للقيام بها في أوقات معينة وبانتظام فيتعلم فيها المؤمن الطاعة والامتثال لأوامر الله وهي: الصلاة – الصيام – الزكاة – الحج.

أ– الصلاة: قال تعالى (وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ) سورة غافر آية 60.

يشير اسم الصلاة إلي أن فيها صلة بين الإنسان وربه ففيها يقف الإنسان في خشوع وتضرع بين يدي الله سبحانه وتعالى خالقه وخالق الكون كله، ويقف بجسمه الضئيل الضعيف أمام الله العظيم القادر والمتحكم والمدير

للأمر والموزع للأرزاق والذي بيده الحياة والموت والذي بيده ملكوت كل شيء ليمده بطاقة روحية تبعث فيه الشعور بالصفاء الروحي والاطمئنان القلبي والأمن النفسي تاركا خلفه كل مشاغل ومشاكل الدنيا ومركزا كل جوارحه لله الواحد القهار، فإن وقوف المسلم في خشوع تام أمام ربه من شأنه أن يبعث فيه حالة من الاسترخاء التام وهدوء النفس وراحة العقل ثم إلي تخفيف حدة التوتر العصبي اليومي يقول الطبيب توماس هايسلوب: إن الصلاة أهم أداة عرفت حتى الآن لبث الطمأنينة في النفوس وبث الهدوء في الأعصاب وأفضل علاج للقلق إن الاسترخاء يعد من الوسائل التي يستخدمها بعض المعالجين النفسيين في علاج الأمراض النفسية والاسترخاء عادة يمكن أن يتعلمها الإنسان بالتدريب.

وتمدنا الصلوات الخمس في اليوم الواحد بأحسن نظام للتدريب علي الاسترخاء وتعلمه وكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم- يقول لبلال – رضي الله عنه – حينما تحين أوقات الصلاة يا بلال أرحنا بالصلاة، وفي حديث رواه أبو داوود: أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- إذا حزبه أمر صلى ... ثم يقوم المسلم عقب الصلاة مباشرة بالتسبيح والدعاء إلي الله تعالى مما يساعد علي الاستمرار في حالة الاسترخاء والهدوء بعد الصلاة وفضلا عن ذلك فإن مجرد إفضاء الإنسان بمشكلاته وهمومه والتعبير عنها إلي الله يسبب له راحة نفسية وتساعد علي تخفيف حدة قلقه.

فالمصلي يقف في خشوع ويتضرع إلي الله ويفرغ عن نفسه كل همومه أثناء الصلاة تاركا خلفه مشاكل ومشاعل الدنيا.

ثم في النهاية يطلب من الله أن يفرغ عليه الصبر ويتوفاه مسلما حين يقول في نهاية التحيات والصلاة – ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين.

فإن الصلاة دعوة واتصال وتقرب إلي الله لتفريع المشاكل إلي القادر الرحمن الرحيم وهي تعطي طاقة روحية هائلة من الفيض الإلهي فتطلق الطاقات الروحية الكامنة فتشد عزم المسلم وتقوي إرادته وتعلى همته وتحدث نشاطا يجعله أكثر مقدرة وقد لاحظ الطبيب الفرنسي الكسيس كا ريل أن الصلاة تحدث نشاطا روحيا معنويا يمكن أن يؤدي إلي الشفاء السريع لبعض المرضى في أماكن الحج والعبادات.

وقد ردد سيرل بيرت عالم النفس الإنجليزي فيما بعد رأي وليم جيمس في تاثير الصلاة فقال: إننا بالصلاة نستطيع أن "نلج باب ذخيرة كبيرة من النشاط العقلي لا نستطيع الوصول إليها في الظروف العادية.

بالإضافة إلي كل ذلك فإن لصلاة الجماعة إثراء علاجيا هاما حيث إن تردد الفرد علي المسجد لصلاة الجماعة يتيح له فرصة التعرف بجيرانه وبأفراد أخرين يسكنون في المنطقة التي يقيم فيها مما يساعد علي تفاعله مع الآخرين والمجتمع أما صلاة الجمعة علي وجه الخصوص فأنها تشبه إلي حد ما الدور الذي يقوم به العلاج النفسي الجماعي الذي يستعمل في الغرب من أمثال الطبيب النفسي كلإيمان، وهذا بالإضافة غلي تاثير الوضوء فسيولوجيا علي المصلي حيث ذكر الأطباء أن الاغتسال خمس مرات يوميا إنما يساعد علي استرخاء العضلات وتخفيف حدة التوتر البدني والنفسي وتفريغ الطاقة الكهربائية الناتجة عن عمل الجهاز العصبي وكهرباء الجسم كذلك تطهير

الجسد من الجلد الميت والغبار الذي يغطي الغدد الدهنية والعرقية وكلها بيئة صالحة ومزرعة للبكتريا والفطريات الجلدية، وأخيراً لا ننسى فضل الصلاة علي المؤمن حيث إنها تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي.

قال تعالى (إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ) سورة العنكبوت آية 45.

قال تعالى: (إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ) سورة طه أية 14.

حيث تشير الآية أن الصلاة دليل علي ذكر وتذكر الله فمن تركها كمن نسي الله فلا بد علي كل مسلم أن يأمر أهله بالصلاة ويشرح أهميتها ويصبر عليهم قال تعالى (وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا) سورة طه آية 132.

قال تعالى (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ) سورة الجمعة الآيات 9-10.

قال تعالى (وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ) سورة التوبة آية 103.

قال تعالى (قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) سورة الأنعام أية 162.

قال الدكتور/ الكسيس كاريل مؤلف كتاب (الإنسان ذلك المجهول) والحائز علي جائزة نوبل: "لعل الصلاة هي أعظم طاقة مولدة للنشاط عرفت إلي يومنا هذا"

أننا تربط أنفسنا حين نصلي بالقوة العظمى التي تهيمن علي الكون ونسألها ضارعين أن تمنحنا قبسا منها نستعين به علي معاناة الحياة بل إن الضراعة وحدها كفيلة بأن تزيد قوتنا ونشاطنا وتجدد حيوية أعمال المخ وتغير تفكير العقل وتركزه علي الله، ولن تجد أحد أضرع إلي الله مرة الإعادت عليه هذه الضراعة بأحسن النتائج.

ونذكر قول الله تعالى (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) سورة البقرة 186.

فالعقل البشري لا يستطيع التفكير فقط إلا في فكرة واحدة فما هو أفضل من أن تفكر في الله الخالق وتحافظ علي التواصل والاتصال بين روحك ونفسك بروح الله خالقها وبإرادته المطلقة تعمل كل أجهزة جسمك في الليل والنهار في اليقظة وفي المنام، فحافظ أخي المسلم علي هذا الرباط والحبل المتين والتواصل بالصلاة والخشوع فيها وأن تقدم الحمد لله وتطلب منه الهداية وأغنم بهذه الطاقة الروحانية الهائلة لتفوز في الأولى والآخرة.

الصيـــام

وللصيام فوائد نفسية كثيرة ففيه تربية وتهذيب للنفس ودواء لكثير من أمراض النفس والجسم، وهو تدريب للإنسان علي مقاومة الشهوات والسيطرة عليها ويؤدي ذلك إلي بث روح التقوى في المسلم الصائم قال تعالى (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ) سورة البقرة 183.

وإن استمرار هذا التدريب علي ضبط الشهوات والتحكم في النفس وغرائزها والسيطرة عليها لمدة شهر كل عام، لاشك سيؤدي إلي تعليم الإنسان قوة الإرادة وصلابة العزيمة في التحكم في شهواته وسلوكه فيصبح الإنسان المسلم ملتزما دائما بالسلوك الحسن بوازع من ضميره وبدون رقابة من أحد وفيه تدريب للإنسان علي الصبر علي الجوع والعطش والشهوات.

ومن الفوائد النفسية للصيام أيضا أنه يشعر الغني بآلام الجوع التي يعاني منها كثيرا الفقراء والمساكين فيدفعه ذلك إلي العطف والرحمة والشفقة علي الفقراء والمساكين والبر بهم وعمل الموائد العائلية والجماعية لزيادة الروابط بين العائلات والأقارب والجيران والعطف علي اليتامى والمساكين.

الزكـــــاة

وهي فريضة فرضها الله علي المسلم بإخراج نصيب معلوم من مالة كل عام لإنفاقه علي الفقراء – فهي تدريب للمسلم علي العطف علي المحتاجين من الناس وتقوى الشعور بالمشاركة الوجدانية مع الفقراء والمساكين وهي تعلم المسلم حب الآخرين وحب العطاء وتخلصه من الأنانية وحب الذات والبخل والطمع وهي في النهاية تطهر النفس وتزكيها قال تعالى (خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا) سورة التوبة آية 130.

الحـــــج

وللجح أيضا فوائد نفسية عظيمة الشأن فزيارة المسلم لبيت الله الحرام في مكة وذيادة مسجد رسول الله في المدينة المنورة والأماكن المقدسة لدى المسلمين تمد المسلم بطاقة روحية عظيمة وتغمره بشعور عظيم من الأمن والطمأنينة والسعادة وفضلا عن ذلك فإن الحج تدريبٌ للإنسان علي تحمل المشاق والتعب وعلي التواضع في الملبس الذي يتساوى فيه الغني والفقير والسيد والعبد وهو لبس الإحرام الخالي من الجيوب مثل الكفن للموتى.

وهو أيضا تدريب للإنسان علي ضبط النفس والتحكم في شهواتها واندفاعها وهو جهاد للنفس حيث يجتهد فيه المسلم أن يهذب نفسه ويقاوم أهواءه ويدرب نفسه علي تحمل المشاق وعلي فعل الخير وحب الناس حيث إنه تجمع للمسلمين من كافة بقاع الأرض ليشهدوا منافع لهم ويتعارفوا.

فالحج يعتبر مؤتمر دولي إسلامي سنوي يجمع المسلمين من مختلف الأجناس والأمم والطبقات الاجتماعية حيث يجتمعون جميعا في مكان واحد وتوقيت واحد يعبدون الله تعالى ويبتهلون ويتضرعون إليه بصورة جماعية رائعة قال تعالى (ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ) سورة البقرة آية 197.

الذكـــر للـــه

إن مواظبة المؤمن علي ذكر الله تعالى بالتسبيح والتكبير والاستغفار والدعاء وتلاوة القرآن تؤدي إلي تزكية النفس وصفائها وشعورها بالأمن والطمأنينة.

قال تعالى (فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ) سورة البقرة آية 152.

قال تعالى (وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ) سورة طه آية 124.

قال تعالى (إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ) سورة العنكبوت آية45

الصبـــــر

يدعو القرآن الكريم المؤمنين إلي التحلي بالصبر لما فيه من فائدة عظيمة في تربية النفس وتقوية الشخصية وتوازنها وزيادة قدرة الإنسان علي تحمل المشاق وتجديد طاقته لمواجهة مشكلات الحياة المستعصية علي قدراته وعلي أعبائها وعلي نكبات الدهر ومصائبه وابتلائه.

ولتعبئة قدراته لمواصلة الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته وإعمار الأرض وتعريف الصبر هو.

تعريف الصبر

فالصبر هو ضبط النفس عند الشدة أو عند نزول كرب أو بلاء أو عند طلب الحاجة بالدعاء وعدم استعجال الإجابة والرضا بقضاء الله وهو نصف الإيمان، ولابد أن تعلم يقيناً أن كل شئ بقضاء الله وقدره وكذلك يتبين أن وقت الإجابة يحدده الله تعالى وحده ولا نملك غير الصبر على البلاء وعلى إنتظار الرضا والرخاء وأن الصبر مفتاح الفرج فمن تمسك به فاز ومن تمرد خسر وأن الصبر يعتبر من أهم النعم التى منحها الله للإنسان حتى يستطيع الحياة سالماً معافى فى مواجهة الشدائد والكرب والبلاء ويحظى بطمأنينة القلب وعيشة راضية ومن حُرم من هذه النعمة ، عاشَ قلقاً ضيق الصدر يعرض نفسه لأمراض نفسية وما قد يتلوها من أمراض عضوية فيخسر الدنيا والآخرة.

ويبدأ من المعاناة ثم العلاج ثم يلجأ إلى المهدِئات والمسكِنات ثم التدخين ثم الوقوع فى شبكة الإدمان ومضاعفاتها ومشاكلها الخطيرة على الفرد والأسرة والمجتمع وقد تنتهى بالقتل والسجن أو الإنتحار. وندعو الله أن يمُن علينا بنعمة الصبر وأن يجعلنا من الصابرين الحامدين الشاكرين والأمثلة كثيرة جداً خاصة أولى العزم من الرسل وصبرهم على قومِهم وعلى البلاء والإيذاء وقد أخبرنا القرآن الكريم عن الكثير منهم منها صور الصبر فى حياة رسول الله المصطفى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام حينما قاسى من أهله وعشيرته وأذى أهل الطائف له – وكذلك صبر صَحابته على إيذاء المشركين لهم وسلب أموالهم والاستيلاء على ممتلكاتهم وحصارهم والأمثلة كثيرة جداً مثل بلال بن رباح وسيدنا عثمان بن عفان ومصعب بن عمير وغيرهم كثير من الرجال والنساء من المسلمين الأوائل فكانوا يقتدون بصبر رسول الله ومن سبقه من أولى العزم من الرُسل مثل سيدنا نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام.

ولا ننسى صبر أمنا هاجر ووليدها إسماعيل فى وادى غير ذى زرع عند بيت الله المحرم. وكذلك صبر سيدنا إسماعيل عندما أمر سيدنا إبراهيم من الله بأن يذبحه : فصبر على قضاء الله وفداه الله بذبح عظيم وأصبح أحد مناسك الحج – والذى جعله الله جزاء الصابرين فى هذا الوادى الجاف فى الصحراء. وصار الناس يأتون من كل فج عميق يحملون الخيرات – ويؤدون مناسك الحج ويصبرون على مشقة السفر أيضا ونذكر بعض الآيات البينات والتى تتحدث عن الصبر.

قال تعالى **[**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ] (102) الصافات.

قال تعالى [وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ] (155) البقرة.

قال تعالى:فَإِنَّ ﴿ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴾ الشرح.

قال تعالى (وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ) 43 الشورى.

قال تعالى(فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ) (35) الآحقاف

قال تعالى (سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ) الرعد(24)

قال تعالى(فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ) (77) غافر

قال تعالى (فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ)39. سورة ق

قال تعالى(وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ) 87 الأعراف

قال تعالى(وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ) 34 الأنعام

قال تعالى(مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ) (96) النحل

قال تعالى(قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ)90 يوسف

قال تعالى(وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ) ٱلۡمُحۡسِنِينَ115 هود

قال تعالى(وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ) (109) يونس

قال تعالى(لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ) (186) آل عمران

قال تعالى(وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ) (126) الأعراف

قال تعالى(رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا) (65) مريم

قال تعالى[يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ] (153) البقرة

قال تعالى(إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ) (3) العصر

قال تعالى(إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا) المعارج

قال تعالى (وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ) (127) النحل

قال تعالى(قُلۡ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَـٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ) (10) الزمر

قال تعالى(أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَـٰتِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَـٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ) (31) لقمان

قال تعالى(وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ) (46) الأنفال.

قال تعالى(قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ) 18يوسف.

قال تعالى (مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَۢةُۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ) 249 البقرة.

وفى النهاية يجب أن نعلم أن هناك دائما ابتلاءات فى الأنفس والثمرات والأموال والبنين وغيرها من النعم ولكن الله وعد الصابرين بأن جزاءهم عند الله كبير حيث قال تعالى (إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ)

وقال تعالى (أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ) صدق الله العظيم.

الأمـــــل

بعد بسم الله أملنا ورجائنا فإن نعمة الأمل هى من النعم الكبرى واللازمة لكل مخلوق على وجه الأرض. ولقد منحنا الله إياها لكى نتمسك بحياتنا ونسعد بها ومن ثم نحافظ على بقائنا حيث يحتاج إليها أصغر وأدق المخلوقات والتى تتكاثر باستمرار وتتأقلم مع البيئة المحيطة بها لكى تحافظ على بقائها: فالكل بما فيهم الإنسان يعمل بالأمل وينظر دائما لغد أفضل ثم مستقبل بعيد أفضل وأفضل.

تعريف:الأمل

يعرف الأمل بأنه الدافع أو المحرك والمحفز إلى هدف للحصول على أمنية أو تحقيق رغبة أو لتحقيق السعادة الداخلية وإشباع النفس والذات ثم الصعود والرقى ويصل بك فى النهاية إلى النفس المطمئنة الزكية والمستقرة وتكون فى الجانب الآخر نموذجا لإعطاء الأمل وبث الثقة للآخرين فاجعل أخى المسلم الأمل فى الله نصب عينيك دائما واسأل الله واطلب منه ما شئت.

قال تعالى﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ سورة البقرة186

وإعلم أخى المسلم أن المنعم والرزاق هو الله ولابد أن يكون أملك الأكبر هو لقاء ربك بنفس راضية مرضية لتدخل جنته. حيث إن رزقك هو في السماء وبيد الله.

قال تعالى:﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾آية 22 سورة الذاريات.

ولابد أن يستمر الأمل مع الإنسان حتى آخر لحظة فى حياته ويتذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"إِنْ قامَتْ السّاعَةُ وَفي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ ،فَإِنْ اسْتَطاعَ أَنْ لا يَقُومَ حَتّى يَغْرِسَهَا؛ فَلْيَغْرِسْها " أخرجه البخارى.**

ومن الأقوال المأثورة عن على بن أبى طالب كرم الله وجهة قال: اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً. فعليك أخى المسلم أن تتمسك دائما وأبدا بالأمل فى الله وتمسك بحبل الله المتين فهو طوق النجاة واعلم أخى المسلم أن فقدان هذه النعمة والبعد عن الله أو نسيانه فسوف تكون الخسارة الكبرى وتكون من الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، وتفقد حبل الله وتصبح أسير الغرائز والمادة ولن ترحمك المادة ولن ترحمك الغرائز وسوف تعيش مشتتا ضالا مثل الشاة التى ضلت القطيع. وتضعف قوة إرادتك وقدرة تحملك للشدائد والمصائب والأزمات ثم تنهار قدراتك بسرعة عند حدوث الأزمات حيث إنك لم تتمسك بحبل الله ونسبته. إذ تبدأ بنسيان نفسك ثم تتبعها بلوم نفسك وانتقادها. ثم بعد ذلك تصاب بالأمراض النفسية مثل الاكتئاب وانفصام الشخصية ثم تصاب بعد ذلك أيضا بالأمراض العضوية مثل ارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب والقولون العصبى والسكر وغيرها ثم تلجأ إلى المهدئات والمسكنات. ثم تنتقل خطوة بخطوة للدخول فى دائرة الإدمان كل هذا بسبب البعد عن الله وفقد الأمل والإصابة بالإحباط.

حيث كان تركيزك على آمال مادية وإرضاء النفس وتركها على هواها فهوت ونسيت أن هذه الآمال التى يحسن تسميتها أحلاماً دنيوية مؤقتة ونسيت الله فأنساك نفسك وتركت طوق النجاة وأصبحت نظرتك للحياة تشاؤمية وبائسة ومحبطة وتدور فى دوامة الإدمان ثم الدخول فى المشاكل الصحية والعائلية والمادية والاجتماعية وغيرها.

ويجب الإشارة إلى أن نعمة الأمل ليست نعمة فرد أو سلوك ولكنها نعمة تؤثر بصورة عميقة فى حياة الأفراد والجماعات والشعوب. ففى أثناء الحروب هناك معارك نفسية وإعلامية ودعائية تخطط وتدرس وتحلل ثم تبث معلومات للخصوم فى محاولات لبث فقدان الثقة بالنفس، وبالتالى فقدان الأمل فى النصر أو النجاح وفى بعض الأحيان تنتهى الحروب بدون معارك بين الأفراد فعلينا أن لا نفقد الأمل وأن نعد ما فى استطاعتنا ونأخذ بالأسباب ثم نلجأ إلى الله وندعوه لتحقيق الأمل.

قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ الأنفال.

فإرهاب العدو يأتى كما أخبرنا الله عندما يشعر العدو بأنك أعددت العُدة وأخذت بأسباب النصر بقدر استطاعتك ثم يأتى بعد ذلك الثقة وبالبصر والأمل والدعاء إلى الله والثقة فى الإجابة ، سوف تنال النصر بإذن الله.

فاحذر أخى المسلم من أعداء النجاح ومن أعداء الله ورسوله وأعوان الشيطان من الناس الذين يحاولون أن يفقدونك الأمل فى الله وفى دينك بكثرة النقد لك وإتهامك بالتقصير فى دينك أو التشكيك فيه عند حدوث البلاء أو الأزمات.

فلا تفكر فى الماضى كثيرا واعتبره تجاربا لزيادة خبراتك وتوسيع فكرك وابداء **صفحة جديدة بالتصالح مع الله ومع نفسك** ودع الماضى حلوه وشره، لأنه

انتهى ولن يعود وانظر دائما إلى الأمام فالمستقبل فى انتظارك فتقدم وأمضى في طريقك إلى آمالك وإلى الله بعزيمة قوية ولا تقبل أى عائق أو حاجز بينك وبين الله وهو الأمل الأكبر لكى تنال رضاه وتفوز بجنته والنظر إلى وجهه الكريم ولا تنسى قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ﴾ 11الرعد.

فعش بالأمل دائما وابداً بتطهير نفسك وافتح صفحة جديدة مع الله وانظر إلى مخلوقات الله حيث تهاجر الطيور مسافات بعيدة عبر القارات بالأمل سعيا منها للحصول علي أماكن أفضل للمعيشة والتكاثر. فعملت بالأسباب وعاشت بالأمل وكذلك الأسماك التى تهاجر فى جماعات أيضا عبر الأنهار والبحار والمحيطات أيضا بالأمل تعيش وتحيا وفى باطن الأرض يتخذ النمل بيوتا يخزن فيها غذائه ويسكن فيها طول فترة البرد فى الشتاء على سطح الأرض. وإنك حينما ترى مجموعات من النمل تحمل حشرة كبيرة نسبيا أو قطعة خبز وتسقط منه فإنه يعيد الكرة مرات ومرات ويشق طريقه مرات ومرات. ولا يفقدون الأمل حتى يصل ما يحملونه إلى بيوتهم والتعامل معه بالأكل والتخزين. وكذلك النحل الذى يصنع لنفسه بيوتا سداسية يخزن فيها العسل لتكون مصدر طاقة وغذاء فليس عيبا أو تقصيرا منا أن نتدبر ونتعلم من جميع مخلوقات الله. حيث إنها أمم أمثالنا ولكنها حافظت على الفطرة والبرامج التى منحها الله لها. ولا تبديل لخلق الله . فلا عيب أن نتعلم من غيرنا بالقدوة الحسنة عسى الله أن يرحمنا ويحقق آمالنا والله الموفق.

وأن نعيش بالأمل دائما ولا نقنط من رحمة الله وكرمه فالله لا يضيع أجر من أحسن عملا وهو قريب يجيب دعوة الداع إذا دعاه وهو الغفور الكريم.
واعلم أخي المسلم أن الحياة لا تحلوا ولا تتقدم بدون الأمل، فعش دائما بالأمل فالأمل هو أقوى دافع للنجاح والسعادة والاستقرار النفسي.

وعِشْ دائما في لحظة تحقيقه كما لو ان قد تحقق بالفعل، وانظر دائما للمستقبل علي أنه أفضل والمطلوب منك فقط أن تسعى إليه وأن يكون أملك الأكبر في وجه الله دائما، وثق في كرم الله ورحمته ولا تفكر في الماضي كثيرا- فقد انتهى ولن يعود ولكن المستقبل سيكون أفضل بالأمل والإيمان بأن الله هو الرزاق الكريم الرحيم.

بعض قواعد السعادة والطمأنينة القلبية

١ -اعلم أنك إذا لم تعش في حدود يومك تشتت ذهنك واضطربت عليك أمورك وكثرت همومك – فلا تنظر إلي المساء إذا أصبحت ولا إلي الصباح إذا أمسيت.

٢ -إنس الماضي بما فيه فهو قد انتهى وحاول فقط أن تأخذ منه العبر والتجارب.

٣ -لا تنشغل بالمستقبل لدرجة القلق فهو في عالم الغيب ودع التفكر فيه حتى يأتي.

٤ -الإيمان بالله والعمل الصالح هو الحياة الطيبة السعيدة.

٥ -علي العبد أن يعلم أن كل شيء بقضاء الله وقدره.

٦ -من أراد الاطمئنان والهدوء والراحة – فعليه بذكر الله تعالى.

٧ -لا تهتز من النقد وأثبت وأعلم أن النقد أحد أعداء النجاح.

٨ -ابتعد عن اللوم واعتز دائما بأنك خير مخلوقات الله في الأرض فثق في نفسك.

٩ -وطمئن نفسك علي تلقي أسوأ الفروض.

١٠ - لا تنتظر شكرا من أحد علي خير فعلته وأن يكون عملك لوجه الله ورضاه.

١١ - فكر في نعم الله واحمده واشكره عليها.

١٢ - اعلم أن كل قضاء للمسلم هو خير له.

١٣ - أنت بما عندك من نعم فوق كثير من الناس.

١٤ - اعلم أن مع العسر يسرا.

١٥ - اعلم أن ربك واسع المغفرة.

١٦ - اعلم أن الرازق هو الله وحده قال تعالى (وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) سورة الذاريات.

١٧ - ابتعد عن الانتقام والحقد والحسد فهم أعداء الإنسان ويضرونه صحيا.

١٨ - اعلم أن الله إذا أحب قوما ابتلاهم ليعلم مدى إيمانهم.

١٩ - اعلم أن ما يصيبك كفارة للذنوب.

٢٠ - اعلم أن رسل الله وأنبيائه وأوليائه الصالحين قد ابتلاهم ربهم فصبروا.

٢١ - لا تغضب – لا تحزن – لا تيأس.

٢٢ - عش دائما بالأمل وتمسك بحبل الله وسلم نفسك لخالقها وكن دائما علي تواصل واتصال بالله تكن أسعد الناس. فما أسعد من القلوب المطمئنة الراضية، وكذلك جزاؤها في الآخرة قال تعالى (يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى) سورة الفجر أيات 27 ، 28 ، 29،30.

المحبـــــة

فنعمة المحبة تعد من أحسن وأكرم وأسمى النعم التى أهداها الله للبشر ليؤلف بين قلوبهم وهى من أهم نعم الله فى أرضة خاصة بين بنى آدم كى يستطيعوا البقاء والاستمرار فى التجمع فى مجتمعات فقد خلق الله الانسان وجعله مخلوق اجتماعى ومفكر بستطيع تحمل أمانة استخلافه فى الارض .

قال تعالى (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) الانفال 63.

وجعل من أنفسهم أزواجا وجعل بينهم مودة ورحمة ومحبة ليسكنوا إليها وسخر بعضهم لبعض كما سخر لهم الأرض والسماء وما فيهن ومن الأنعام وجعل من كل شيء أزواجا مثل الليل والنهار والأبيض والأسود والحار والبارد والضعيف والقوى والمريض والسليم والذكر والأنثى ثم فى النهايه الجنه والنار فكل شيء مكون من زوجين ولكن الواحد الأحد الفرد الصمد الرزاق المنعم هو الله.

قال تعالى ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ الحديد3. وما يخص الانسان فى هذه المنظومة الزوجية هو خلق الذكر والأنثى .

فقال تعالى ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ النحل 72.

فقد جعل الله بينهم مودة ورحمة ومحبة تؤدى إلى الزواج بطريقة شرعية لكى يتكاثرون ويعمرون الأرض ويكونون مجتمعات وقبائل وشعوب وأمم وليتعارفوا. ويجمعهم جميعا رباط المحبة الإلهية وان المحبة فى الإسلام على وجه الخصوص تعتبر من المبادىء الأساسية فى قياس الإيمان وسوف تذكر أنواع المحبة أو الحب والود حيث تكون ذروته فى محبة الله ورسوله وعلى هذا فسوف يكون مقياس المحبه لله على القمة بالنسبة لما ذكر من أنواع المحبه وهى التى تصب فى الأنواع الاخرى.

بداية بالمحبة بين البشر وبعضهم وفروعها المتعدده ثم محبة مخلوقات الله ونعمه ولا يصح ان تبدأ محبتك من القاع ولا تسمى بنفسك وتزكيها وتصعد بها إلى القمة وهى محبة الله ورسوله وتصل إلى السعادة والطمأنينة الحقيقية الدائمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] **(من أحب الله فليحبنى ومن أحبنى فليحب أصحابى ومن أحب اصحابى فليحب القرآن ومن أحب القرآن فليحب المساجد)** وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ماله وولده والناس أجمعين)** وقال رسول الله صلى الله علين وسلم[2]**(لن تدخلوا الجنه حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم)** صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أحكام الحب وأنواعه خمسة وهى

١ -الواجب. 2- الجائز.

3- المباح. 4- المكروة. 5- المحرم.

---

[1] أورده ابن طاهر في كتاب معرفة للتذكرة 59/1 رقم 747.
وأورده الذهبي في الميزان 579/4 برقم 554 وقال ابن حبان لا يمل ذكره إلا ذكره إلا للتعرح فيه عبادي عن الصمد

[2] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم 53/1 رقم 203 عن أبي هريرة باب الإيمان رقم 81/1 رقم 71.

1- النوع الأول: هو الحب الواجب وهو **حب الله** ويكون الله أحب اليه من نفسه وماله وولده وكل شيء.

2- النوع الثانى: هو الحب الجائز أو المستحب وهو حب لكل ما أباحه الله تعالى للإنسان من مشرب ومأكل وملبس وأولاد وأموال وعقائد وأنعام وحب النساء أو بالأحرى حب الزوج الأخر أو الجنس الآخر ثم حب الناس بعضهم لبعض وتفرعاتها .

قال تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)
الروم21

3- النوع الثالث: هو **الحب المباح** مثل حب العمل والاجتهاد والتنافس والتفوق والإصلاح بين الناس وعمل علاقات اجتماعية وحب التجمع مع الآخرين

وقد أوصانا الله فى أكثر من آية على حب الجار وأوصانا المصطفى بأن نحب لإخواننا ما نحبه لانفسنا

قال تعالى ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ النساء36

4- النوع الرابع : هو حب المكروة وهو حب الأشياء التى **كانت** مكروهه من الرسول مثل أكل الثوم أو البصل قبل الذهاب للصلاة بالمسجد لما فيه من أذى للمصلين وكذلك التزين بطريقة مبالغ فيها والتشبه بالنساء أو التزين بالذهب أو بلبس الحرير.

5- النوع الخامس: هو الحب المحرم وهو أن يحب الرجل أو يميل قلبه وعواطفه الى إمرأة لا تحل له أو العكس وقد نهى الإسلام عن هذا الحب الذى يؤدى الى إرتكاب الحرام وهو بداية طريق الشيطان وقد أمر الله المؤمنين والمؤمنات بغض أبصارهم والخلاصة هى أن يكون الحب الذى إرتضاه لنا الله هو أن يكون الحب خالصاً لوجه الله .

وقد بشرنا رسول الله بأن المرء سيكون فى الجنة مع من يحب وأمرنا إذا أحب أحدنا أخاه فليخبره أنه يحبه وأن كل إنسان أحب الرسول وأخلص فى حبه فهو مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى الجنة إن شاء الله.

وقال رسول الله أيضا بخصوص الرفقة فى الجنة[1] "المرء مع من أحب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ذاق حلاوة الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبياً ورسولا أيها الناس أحبوا بعضكم وأحبوا أنفسكم واخصلوا لربكم...) إلي نهاية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروى الإمام أحمد والبخارى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين إلا من أحبه**

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب علاقة حب الله عز وجل 145/19 حديث رقم 5702 عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأخرجه مسلم كتاب البر والصلة باب المرء مع من أحب 43/8 رقم الحديث 4779 واخرجه أبو داوود كتاب الأدب الرجل بمحبته إياه.

فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذى نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه قالوا وما بوائقه يا نبي الله قال غشه وظلمه ولا يكسب عبداً مالا من حرام فينفق منه فيبارك فيه ولا يتصدق به فيتقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده الى النار وان الله لا يمحو السىء بالسىء ولكن يمحو السىء بالحسن إن الخبيث لا يمحوه الخبيث). صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال تعالى ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ 31 آل عمران

قال تعالى ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ المائده

قال تعالى(وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ) سورة هود 90.

قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴾ البروج 14

قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَـٰدٗا فِى سَبِيلِى وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ الممتحنة1.

قال تعالى ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴾ 20 الفجر

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَـٰنُ وُدّٗا ﴾ 96 مريم

قال تعالى ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ البقرة 96.

قال تعالى﴿ وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَـٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الروم 21

قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ النساء1

قال تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ التوبة4

قال تعالى ﴿ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ البقرة 195

قال تعالى ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ المائدة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه من ولده والناس أجمعين**).أخرجه مسلم في كتاب الإيمان

الرضـــــا

الحمد لله أحمده وأستعينه وأستهديه وأسترضيه وأستغفره وأتمنى رضائه ولقاء وجهه. أخى وصديقى فى الله – إن من أعظم نعم الله على الإنسان بعد الإيمان بالله تعالى هى نعمة الرضا بقضائه وذلك لأنها تجلب الطمأنينة للقلب وتشرح الصدر وبعد تقبل قضاء الله خيره وشره بعد إيمان عميق فى القلب لا يتزعزع ونفس مطمئنة وراضية مرضية وثابتة لا تقنط من رحمة الله فتنال رضا الله فى الدنيا والفوز فى الآخرة حيث إنك قد رضيت بحكمة وقضائه فيرضى الله عنك.

قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴾ الفجر

أما النفس غير الراضيه والمتمردة والرافضة لقضاء الله فإنها تعيش فى ضنك من الحياة فهى نفس طماعه جشعه لا تشبع ولا تحمد الله على ما أو تِيت من نِعم وتنظر دائما إلى ما أعطى لغيرها من النِعم ومن هنا تترك النفوس على هواها ويتدخل شياطين الإنس والجن وتبعد النفس عن الطريق المستقيم ويبدأ التحول من النفس التقية المطمئنة إلى النفس المكبوتة أو المُكتئبة وقد صدق الله حيث قال:

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا) الشمس.

فكبت النفس أو دسها مثل أى كبت سوف يولد الانفجار ويحولها إلى نفس فاجرة وما قد يؤثر هذه على صحة الإنسان من تحول إلى مرض نفسى ثم إلى أمراض عضوية فى القلب وارتفاع ضغط الدم والسكر والقولون وقرحة المعدة والإثنى عشر وغيرها وأول مثال على عدم الرضا ونتائجه الكارثية: هو ما حدث لولدى آدم قابيل وهابيل. لما تقبل من أحدهما ولم يتقبل من أخيه. فلم يرض بما كتب الله له فأقدم على أول جريمة قتل بين البشر على وجه الأرض وهى جريمة ليس لها أى سبب غير عدم الرضا وكانت هذه هى النتيجة. وفى حديث عن أبى هريرة رضى الله عنه،عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس) وفى الحديث القدسى عن رب العزة وهو ينادى الخلق فيقول : من لم يرضى بقضائي ويصبر على بلائى فليخرج من أرضى ومن تحت سمائى وليطلب ربا سواى . وقال ذو النون المصرى لرابعة العدوية : يا رابعة ادعى الله لى فأنت مستجابة الدعوه قالت : لن أدعو الله لك حتى ترضى عن الله ، قال كيف أرضى عن الله وهو رب كل شىء ، قالت : تفرح بالمصيبة فرحك بالنعمة . فلابد أن يرضى المؤمن بالله وبقضائه خوفا من الوقوع فى دائرة المعصية ثم يدخل بعد ذلك فى دائره الحقد واللوم والحسد والجشع والطمع والقضاء فهى أول الطرق إلى الفساد والكفر والخسارة فى الدنيا والأخرة أما عن جزاء الراضيين والصابرين عند نزول البلاء فهو الفوز فى الأولى والأخرة.

قال تعالى (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَ�ٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ) البقرة .

ولا ننسى نصيحة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) حيث قال:(لو كان لابن آدم واديٍ من ذهب لتمنى أن يكون ثانيا ولو كان له ثانيا لتمنى أن يكون ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ طه

قال تعالى ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ المجادلة 22.

قال تعالى [جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ] البينة8

قال تعالى[وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ]التوبة 59

قال تعالى﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ الضحى5

قال تعالى ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ الأحقاف15.

قال تعالى ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾ البقرة 144.

قال تعالى ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ التوبة 62

قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾ النساء

قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴾ الفجر

قال تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ التوبة 72

قال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ) ﴾ البقرة207

قال تعالى ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ البقرة165.

قال تعالى﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ المائدة3.

نعمة الإسلام

- فنعمة الإسلام هى أعظم النعم التى إرتضاها الله للإنسان فأنت يا عزيزى تعلم يقينا أن الإنسان حينما يسلم نفسه مُكرها أثناء المعارك أو الحروب فإنه يؤخذ كأسير حرب بعد أن نكس رأسه ورفع الراية البيضاء ثم يتم التفاوض عليه مثل السلعة أو العبد ويسمى هذا استسلام، أما الإسلام فهو أن تسلم نفسك طوعا وطمعا إلى الله خالقك ورازقك وسوف تنال العزة والكرامة وتشعر بالأمان والطمأنينة لدى الرحمن الرحيم فهو الأعظم وهو الأكبر فوق كل كبير ولا يخذل عبده أبدا إن إستجاره ولجأ إليه وأنه قريب مجيب دعوة الداعى إذا دعاه ولن يأمر بتسلم سلاح أو تنكيس رأس والزحف فى الأرض مثل الحيوانات أو رفع الرايات البيضاء أو غيرها ولكنه يأمرك بأن تزكى نفسك وتعتز بها وتشهد أن لا اله الا الله وتعلم أن الله غفور رحيم وأنه يغفر الذنوب جميعا إلا أن يشرك به فالإسلام دين الفطرة وهو دين التوحيد والتسليم لوجه الله وأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وأن ترضى بقضائه وقدره وتلتزم بأوامره وأن تظهر ذلك قولا بلسانك ورضائك بقلبك وعملا بشريعة الاسلام وأركانه

قال تعالى ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ الحج 78.

قال تعالى ﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ البقرة

قال تعالى ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ البقرة 136.

قال تعالى ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ البقرة 132.

علم الطب النفسي في الإسلام

القلق "مرض العصر

تأثير العبادات في تفريج الكروب:

قال تعالى (وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ) 45 البقرة

فقد ألمح الأطباء النفسيون علي أن التوتر العصبي يزول بالإفضاء إلي صديق أو قريب فإذا لم يوجد من يفضي إليه كفاه الله وليا ونصيرا.

ولكن ليس في كل الأمور يفضي الإنسان بآلامه إلي صديق أو قريب. وهنا لا بد أن يلجأ إلي من يطلع علي ما يدور في الخواطر والسرائر – عالم الظاهر والباطن.

قال تعالى (يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ) 19 غافر .

قال تعالى (ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ) 28 الرعد .

فالقلق النفسي أصبح سمة من سمات هذا العصر– وعلامة من علاماته غير الحسنة، والقلق له الكثير من الأضرار الجسدية والنفسية ويرى علماء النفس أن الانفعالات النفسية تهيج العصب الحائر فيتسبب في قرحة المعدة

وكذلك إحداث بعض الخلل في عمل الجهاز العصبي اللاإرادي مثل انقباض الأوعية الدموية، والتسبب في ارتفاع ضغط الدم والشعيرات الدموية بالعين وتسبب فقدان البصر (بياض العين) ويمكن أن يتسبب في زيادة إفرازات الغدة فوق الكلوية مما يؤدي إلي رفع الضغط ثم السكر، كما ثبت من دراسات نفسية عديدة أن السبب في أغلب الأمراض النفسية هو عدم الإيمان .

1 – عدم الإيمان بقضاء الله وقدرة – خيره وشره – وإلي عدم الإيمان باليوم الآخر والحساب، فالفرد غير المتدين يؤمن بالدنيا وزينتها وأن عليه أن يغنم من ملذاتها قبل الموت، فلا غرابة إذا بدأ أسير هواه وملذاته – وحينما يتعرض لنكبات أو مصائب فإنه كثيراً ما يستسلم لليأس والقنوط، ثم يعاني من الاكتئاب والأمراض النفسية ثم العضوية .

2 – في حين أن الفرد المتدين والذي أسلم وجهه لله صاحب الأمر وشعاره دائما (وأفوض أمري إلي الله) فلا يستسلم ولا يقع فريسة الشك والقلق.

3 – أما المنافق فإن علم النفس الحديث يقرر أن شخصية المنافق مريضة منقسمة علي نفسها فكأنه شخصيتان متصارعتان تعيشان في جسد واحد وهو يكذب علي نفسه وعلي الناس فهو يكذب علي الناس ليخدعهم بالابتسامات والكلمات ويخفي في باطنه غير ظاهره

قال تعالى (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ) البقرة آية 10 (مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا) النساء 143.

وهذا الصراع النفسي ينبع من أن المنافق ليس أمينا مع نفسه، ولا مع الناس فهو يكذب علي نفسه ليرضي الناس ويكذب علي الناس ليخدعهم عن الحقيقة وهذا التعارض بين أقواله وأفعاله هو الذي سوف يكشفه للناس إن عاجلا أو آجلا.

علاج القلق

يقول الدكتور "كارل يونج" وهو من أعظم أطباء النفس في كتابه – الإنسان العصري يبحث عن نفسه "إن كل المرضى الذين استشاروني خلال الثلاثين سنة الماضية في كل أنحاء العالم كان سبب مرضهم هو نقص إيمانهم وتزعزع عقائدهم، ولم ينالوا الشفاء إلا بعد أن استعادوا إيمانهم، ومن العجب أن يصل الباحثين والأطباء إلي أنه لا علاج لهذه الأمراض إلا الإيمان بالله القادر فيقول "وليم جيمس" أستاذ علم النفس بجامعة هارافاد "إن أعظم علاج للقلق ولا شك هو الإيمان" ويقول الدكتور "بريل" إن المرء المتدين حقا لا يعاني قط مرضا نفسيا" ويقر "ديل كارنبجي" إن أطباء النفس يدركون أن الإيمان القوي والاستمساك بالدين كفيلان بأن يقهرا القلق والتوتر العصبي، وأن يشفيا هذه الأمراض.

ولكن هل هناك إيمان أقوى من ذلك الذي دعا إليه الإسلام في آيات الذكر الحكيم

قال تعالى (ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ) الرعد 28

قال تعالى (هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ) الفتح 4

قال تعالى (وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) الطلاق (2، 3)

وعلي هذا فإن دعوة الإسلام إلي الإيمان المطلق بالله هو الوقاية للإنسان من القلق وعلاجا من كافة الأمراض النفسية وكثيرا من الأمراض العضوية.

إن ما يقرره علماء النفس من ضرورة الإيمان بالله وبقضائه وقدره كعلاج لشتى أنواع الأمراض النفسية والتوترات العصبية ويبعد الإنسان عن القلق والاكتئاب واليأس ومضاعفاته، ولكنه يبعث الأمل لدى المؤمن المطمئن القلب

قال تعالى (قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ) الزمر آية 53

فلابد أن يحيا الإنسان ويعيش بالأمل في الله، ويقر علماء النفس أن كافة الأمراض النفسية ترجع إلي الكبت الذي يسبب عقدا نفسية لا شفاء منها إلا بما يسمونه التحليل النفسي – حيث يتم بأن يجلس الشخص في عيادة الطبيب النفسي ويفتح قلبه ويعترف بأخطائه أمام الطبيب المعالج – وهذا الاعتراف يقول عنه الأطباء: إنه صفة منطقية نفسية سلوكية تكشف عن أخطاء المريض فيراها ويشعر بها ، فيحدث صراع بين النفس والضمير فيتسامح الضمير وإذا ما تسامح الضمير واستشعر الإنسان العفو منه ذالت العقدة النفسية وعاد الإنسان إلي حالته الطبيعية.

وإذا كان علاجها هو الاعتراف بالخطأ أمام الطبيب ليتسامح الضمير ، فأي فرق بين الاعتراف أمام الله – الخالق علام الغيوب – التواب الغفور الرحمن الرحيم والاعتراف أمام الطبيب فهل هناك عزاء للنفس أكثر من الإحساس بالرضا بما ليس منه بد – وطمأنينة القلب وهو ما ينصح به علماء النفس في العصر الحديث، وكان أخطر الأمراض النفسية التي تؤثر علي عقل الإنسان والمجتمع هي مشكلة الإدمان .

الدوافع

الدوافع هي القوى المحركة التي تبعث النشاط في الكائن الحي وتبدئ السلوك وتوجهه نحو هد أو أهداف معينة، وهي التي تدفعه إلي القيام بإشباع حاجاته الأساسية الضرورية لحياته وبقائه، كما تدفعه إلي القيام بكثير من الأفعال الأخرى الهامة والمغيرة له ويصنف علماء النفس الدوافع إلي قسمين رئيسيين هما.

أولا: الدوافع الفسيولوجية: وهي الدوافع الفطرية وهي التي ترتبط بحاجات البدن الوظيفية فتقوم بتوجيه سلوك الفرد إلي أهداف تشبع حاجات الجسم الفسيولوجية.

ثانيا: دوافع نفسية وروحية: وهي دوافع تتعلق بإشباع حاجيات الإنسان النفسية والروحية.

الدوافع الفلسيولوجية

قال تعالى (سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ) الأعلى (1-3) والدوافع الفسيولوجية قسمان:

الأول: ضروري لبقاء الفرد.

الثاني: ضروري لبقاء النوع، فهي تقوم بتلبية حاجات البدن –وتسد كل ما يطرأ عليه من نقص – عضوي أو كيميائي وهي تعمل دائما علي الاحتفاظ للجسم بقدر معين من الاتزان الحيوي اللازم لحفظ ذاته وبقائه، ويتم هذا النشاط التوافقي لها إراديا لا دخل للإنسان فيه.

أنواع الدوافع التي أشاد إليها القرآن الكريم

الأول – دوافع حفظ الذات: مثل دافع الجوع والعطش والتعب والوقاية من الحرارة والبرودة فآدم بعد هبوطه من الجنة إلي الأرض تعرض للجوع والعطش والعرى وتقلبات الجو – فبدأ يظهر الدافع الذي يحركه لكي يتحاشا هذه الطلبات والحاجيات الملحة والتي تحدث آلام أو مشاكل عند عدم الحصول عليها أو قلتها وبدأ يشقى ويسعى بالصيد والزرع والحرث ، وحفر الآباء وصنع الملابس والبحث عن مسكن يأويه ويحميه مثل الإقامة تحت الأشجار وعروشها أو الكهوف.

قال تعالى (فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ١١٧ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ) طه (117 –119) قال تعالى (وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٨٠ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ) النحل80 – 81.

وكذلك دوافع انفعال الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات قال تعالة (وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ) البقرة 155.

قال تعالى (فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۢ) قريش 3-4.

وكذلك دافع التعب الذي يدفع الإنسان إلي الراحة والنوم والسكينة.

قال تعالى (هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ) يونس 67 ، هذا بالإضافة إلي دافع حب البقاء – وحب التملك ودافع الألم ودافع التنفس.

□ – دوافع بقاء النوع وهو قسمان الدافع الجنسي – دافع الأمومة

1 – الدافع الجنسي– حيث خلق الله الذكر والأنثى وجعل التقائهما هاما لحدوث التكاثر والتناسل لتكوين الأسرة والشعوب والقبائل والأمم لتعمير الأرض.

قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) الحجرات 13.

وقال تعالى (وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ) الروم .21

2 – دافع الأمومة: فقد جعل الله في طبيعة تكوين الأم دافعا فطريا يجعلها تقوم برسالتها الهامة في الإنجاب لبقاء النوع – فهي تتحمل مشاق الحمل والولادة والرضاعة والرعاية - ؟؟؟ عن رضا نفس ومحبة.

قال تعالى (وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًا) الأحقاف 15.

وقال تعالى (وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ)
القصص 10، أي أن فؤادها (قلبها) أصبح خاليا من التفكير في أي شيء ما عدا ابنها.

الدوافع النفسية والروحية

الدوافع النفسية والروحية هي الدوافع التي ترتبط بحاجات الإنسان النفسية والروحية:

أولا: الدوافع النفسية: وهي ما يطلق عليه علماء النفس الدوافع النفسية والإجتماعية – لأنها تشبع حاجات الإنسان النفسية ونتيجة تفاعله الإجتماعي مثل الحاجة إلي الانتماء والحاجة إلي السمو والحاجة إلي هوية "الذات".

ثانيا: الدوافع الروحية: وهي دوافع ترتبط بالناحية الروحية في الإنسان مثل دافع التدين والبحث عن الخالق – والتمسك بالتقوى وحب الخير والعدل وكره الظلم ومن الدوافع النفسية والروحية.

((دافع التملك – دافع العدوان – دافع التنافس – دافع التدين))

أمثلة علي أنواع الدوافع النفسية والاجتماعية

1 – دافع التملك: قال تعالى (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ) آل عمران14.

قال تعالى (ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) الكهف 46.

قال تعالى (وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا) الفجر 20. وإن دافع التملك فطري أو غريزي عند آدم وأبنائه.

2 – دافع العدوان: قال تعالى (قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ) طه 123. قال تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) البقرة .30

3 – دافع التنافس: وهو من الدوافع النفسية التي يتعلمها الإنسان من البيئة الثقافية التي ينشأ فيها – من تنافس علمي أو اقتصادي أو سياسي أو

عسكري وغيرها ولكن القرآن الكريم حث الناس علي التنافس في تقوى الله وفعل الخيرات والتماسك بالقيم الإنسانية العليا، وفي حب الله ورسوله.

قال تعالى (سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ) الحديد 21.

قال تعالى (فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ) المائدة 48.

4 – دافع التدين: فإن دافع التدين دافع نفسي له أساس فطري في تكوين الإنسان فالإنسان يشعر في أعماق نفسه بدافع يدفعه إلي البحث والتفكير لمعرفة خالقه وخالق الكون وذلك لعبادته والتوسل إليه والالتجاء إليه طلبا للعون منه ليجد الحماية والرعاية والأمن.

قال تعالى (فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ) الروم 30.

قال تعالى (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ) الأعراف 172.

وفي حديث نبوي شريف: عن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : "ما من مولود إلا يولد علي الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء – ثم قال أبو هريرة: وأقرأوا إن شئتم – فطرة الله التي فطر الناس عليها " رواه الشيخان والترمذي.

قال تعالى (هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ) يونس 22.

الدوافع اللاشعورية

قد يشعر الإنسان ببعض الرغبات أو الدوافع غير المبررة أو المثيرة لقلقه – فيعمل علي إبعادها من دائرة وعيه أو شعوره – مما يؤدي في النهاية إلي كبتها قال تعالى (أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ

ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ﴿٢٩﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ) محمد 29، 30.

الصراع بين الدوافع

إذا تعارضت بعض دوافع الإنسان بأن يجزبه دافع ما إلي اتجاه معين ويجزبه دافع آخر إلي اتجاه مضاد أحس الإنسان الحيرة والتردد والعجز عن اتخاذ قرار صائب – وتعرف هذه الحالة بالصراع النفسي.

قال تعالى(إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا) النساء 142 – 143.

السيطرة علي الدوافع

فمن الطبيعي أن يكون إشباع الدوافع التي خلقها الله أمر ضروري تقتضيه الفطرة – إذ يتوقف علي إشباعها استمرار الحياة وبقاء النوع ولذلك جاءت أحكام القرآن في شأن هذه الدوافع متفقة مع فطرة الإنسان، فهي تعترف بها وتقرها وتدعوا إلي إشباعها في الحدود الشرعية دون إسراف أو

تجاوز، وقد حرص القرآن علي وضع أسس للسيطرة علي دوافع الإنسان الجنسية مثلا بغض البصر كما طالب النساء بإخفاء زينتهن ومحاسنهن التي قد تفتن الرجال.

قال تعالى (قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ) النور 30 – 31.

وقد نظم الله تعالى للإنسان طريقة إشباع الدافع الجنسي بأن خلق الذكر والأنثى وجعل بينهم محبة ومودة ورحمة وبالطرق الشرعية وعقود النكاح.

قال تعالى (وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)الروم 21.

وقال تعالى (هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ) البقرة 187.

فكلاهما لباس للآخر، يعطيه المحبة والرحمة ويساعده علي التحكم في الدوافع الجنسية والعاطفية ومن لم يستطع الزواج فعليه بالصوم – ثم الصبر وتقوى الله حيثما يجعل الله له مخرجا وكذلك حسنا الله علي عدم الإسراف في أي شيء مثل الأكل أو اللباس أو المباهاة أو الزينة.

الحب (المحبة) – (المودة)

يلعب الحب دورا هاما في حياة الإنسان فهو أساس الحياة الزوجية لتكوين الأسرة ورعاية الأبناء وهو أساس التآلف بين الناس وتكوين العلاقات الإنسانية الحميمة وهو العلاقة الروحية العميقة الجذور التي تربط المسلمين بالرسول واتباع سنته وتعاليمه وهو الرباط الوثيق الذي يربط الإنسان بربه ويجعله يخلص في عبادته وأن حب الله تعالى هو أسمي أنواع الحب.

أنواع الحب

1 – حب الذات: وهو الحب المرتبط بدوافع حفظ الذات – مثل حب الحياة والتقدم والبحث عن السعادة والأمن والخير ويكره كل ما يعوقه عن الحياة والنمو، قال تعالى (وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ) العاديات 8

وقال تعالى (وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةً فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ) الشورى .48

2 – حب الناس: وهو الحب الذي ينمو مع الطفل بعد التفاعل والتعامل مع غيره من الأطفال والكبار من حوله ويزداد بالتدريج إلي أن يحدث تآلف وانسجام مع الآخرين وتزداد المودة والتعاون لما فيه فائدة له ولمن حوله من الناس.

قال تعالى (وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا) آل عمران 103.

وعن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا تدخلوا الجنة حتى تحابوا، أولا أدلكم علي شيء إذا فعلتمون تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم).

وقال صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

3 – الحب الجنسي: وهو يرتبط بالدافع الجنسي – وذلك لعمل تآلف وانسجام وتعاون بين الزوجين وهي ضروري لاستمرار الحياة الأسرية والتي هي بناء المجتمع.

قال تعالى: (وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) الروم 21.

وقال تعالى (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ) آل عمران 14، فإن دافع الحب الأبوي يعد دافعا نفسيا فهو مصدر متعة وسرور لهم ومصدر قوة وجاه وبقاء للذكرى بعد الموت، كما حدث في دعاء ذكريا عليه السلام.

قال تعالى (قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا) مريم آية 4-6.

قال تعالى (ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا) الكهف 46.

قال تعالى (إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ) يوسف 8.

قال تعالى (وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ) هود .45

4 – حب الله: وهو ذروة الحب عند الإنسان وأكثره سموا وصفاء وروحانية إن حب الله تعالى هو غاية كل مؤمن، وهو القوة الدافعة لطاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب المؤمن لله يفوق حبه لأي شيء آخر – وهو يفوق حبه لذاته ولأبنائه أو زوجته أو أهله أو ماله فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة الله وحده.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله احب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف به في النار" رواه الشيخان – عن أنس رضي الله عنه.

قال تعالى (قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ) آل عمران 31، قال تعالى (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ) البقرة 165، وحينما يخلص الإنسان في حبه لله ، يصبح هذا الحب هو القوة الدافعة الموجهة له في حياته وتخضع كل أنواع الحب الأخرى لهذا الحب الكبير الإلهي الذي يفيض علي كل المخلوقات.

5 – حب الرسول: ويأتي بعد حب الله في ذروة السمو والنقاء الروحاني فهو الذي اصطفاه الله تعالى ليكون خاتم النبيين ورسوله للناس أجمعين – ليهديهم ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وقد وصفه القرآن الكريم بأوصاف كثيرة منها بأنه علي خلق عظيم قال تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ) القلم 4.

وهو المرشد والقدوة الحسنة التي يجب أن يقتدى بها المؤمن قال تعالى (لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا) الأحزاب 21.

الفـــرح

يشعر الإنسان بانفعال الفرح والسرور إذا نال ما تمناه وحصل علي ما يحب من مال أو نجاح أو علم، فالفرح أمر نسبي يتوقف علي أهداف الإنسان وفي الحياة فمنهم من كان هدفه الدنيا ومنهم من كان هدفه الآخرة قال تعالى (وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ) الرعد 26.

قال تعالى (مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ) النحل 97.

الكـــره

والكره هو انفعال مضاد لانفعال الحب وهو شعور بعدم التقبل أو النفور وفي حالة الزواج علي سبيل المثال فبالرغم من أن الحب هو أساس الحياة الزوجية إلا أنه يحدث أحيانا سوء تفاهم بين الزوجين وقد تحدث مشاحنات أو خلافات مما يؤدي إلي نشوء الكراهية أو البغض وقد دعانا القرآن الكريم إلي محاولة التغلب علي هذه الكراهية.

قال تعالى (وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا) النساء 19. وقال تعالى (كُتِبَ

عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ) البقرة 216. قال تعالى (وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ) التوبة 54

الغيـــــرة

الغيرة هي انفعال مكروه وبغيض يشعر به الإنسان عادة إذا شعر أن الشخص المحبوب لديه بوجه أو حبه إلي شخص آخر غيره – مثل ما حدث مع النسوة وامرأة العزيز في قصة يوسف عليه السلام وكذلك غيرة أخوة يوسف عليه السلام بسبب حب أبيهم ليوسف وأخييه الأصغر – وتفضيله لهما عليهم، وقد يؤدي انفعال الغيرة إلي الكره والحقد قال تعالى (إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ) يوسف 9 -8.

الحســـد

والحسد نوعان: أحدهما مذموم شرعا وهو كراهية رؤية النعمة عند الغير مطلقا، وتمني زوالها عنه.

والنوع الثاني : وهو ما يعرف بالغبطة – وفيه يتمنى الإنسان أن يكون لديه مثل هذه النعمة التي لدى الغير دون تمني زوالها عنه ، وهذا النوع من الحسد أو الغبطة ليس مذموما مطلقا قال تعالى (فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ) القصص 79.

قال تعالى (وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ) البقرة 109.

قال تعالى (قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ) يوسف 5. ولما كان الحسد يؤدي إلي الكراهية والعداوة والأذى فقد طلب منا الله تعالى أن نستعيذ به من شر الحاسدين قال تعالى (وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) الفلق 5، حيث إن الإنسان الحاسد هو عدواني السلوك وشرير.

الحـــــزن

الحزن هو انفعال مضاد للفرح والسرور وهو يحدث إذا فقد الإنسان شخصا عزيزا أو شيئا ذا قيمة كبيرة – أو إذا حلت كارثة أو فشل أو غياب الأبناء عن آبائهم ولا يعرف مصيرهم قال تعالى (فَرَدَدْنَـٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ) القصص 13.

قال تعالى (إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ) التوبة 40.

قال تعالى (وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) آل عمران176.

قال تعالى (يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) الأعراف 35.

قال تعالى (بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) البقرة 112.

قال تعالى (أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) يونس62.

النـــــدم

الندم حالة انفعالية تنشأ عن شعور الإنسان بالذنب وأسفه علي ارتكابه ولومه لنفسه علي ما فعل – وتمنيه لو أنه لم يفعل ذلك ولوم الإنسان لنفسه وندمه علي ما فعل من العوامل الهامة في تقويم شخصية الإنسان ودفعه عن ارتكاب المعاصي والذنوب والنفس اللوامة تقابل – ما نسميه الضمير – الذي يؤنب صاحبه ويشعره بالندم قال تعالى (لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ) القيامة 1-2.

1 – وأول ندم شعر به الإنسان ما حدث لأبونا آدم وحواء عليهما السلام وهما في الجنة وقبل هبوطهما إلي الأرض فقد نسيا أمر ربهما وآكلا من الشجرة التي نهاهما عن الاقتراب منها – وظهرت سوءاتهما وشعرا بالندم.

2 – وثاني ندم شعر به الإنسان حدث عندما قتل قابيل آخاه هابيل ثم ندم علي قتله قال تعالى (فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٣٠ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ) المائدة 30-31.

قال تعالى (وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانٗا خَلِيلٗا) الفرقان 27-28.

وهناك انفعالات أخرى مثل: الحياء – والخزي – والزهو أو الكبر :مثل فرعون وخبر الأمور هو الوسطية كما لخصها القرآن الكريم في هذه الآيات البينات

قال تعالى (وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا) الإسراء 37.

وقال تعالى (وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ) لقمان 18.

السيطرة علي الانفعالات

كيف تتحكم في مشاعرك وانفعالك

بالرغم من أن الانفعالات وظائف هامة في حياة الإنسان إذ إنها تعينه علي حفظ ذاته وبقائه إلا أن الإسراف فيها يضر بصحة الإنسان النفسية والبدنية، وقد بينت بعض الإحصائيات أن نسبة كبيرة من المرضى الذين يترددون علي عيادات الأطباء يشكون من اضطرابات انفعالية ناشئة عن مشكلات نفسية وأنهم في الحقيقة في حاجة إلي علاج نفسي وأهم هذه الأمراض هو القلق – والذي يتسبب في شد الأعصاب أو (Tention) والذي يتسبب بدوره في التأثير علي وظائف أعضاء كثيرة وإفراز هرمونات مثل الكورتيزون والأدرينالين وزيادة أحماض المعدة وزيادة وعدم انتظام في حركات الأمعاء كل ذلك يؤدي إلي أمراض عضوية مثل الضغط والسكر وقرحة المعدة – وآلام الأمعاء الغليظة وغيرها من المشاكل والمضاعفات علي القلب والمعدة وزيادة القلق بعد ظهور أمراض عضوية وقد سبق القرآن الكريم العلوم الطبية والنفسية في الاهتمام بتوجيه الناس إلي التحكم في انفعالاتهم والسيطرة عليها بدون استعمال عقاقير أو مهدئات أو غيرها من وسائل العلاج المادية.

امثلة علي السيطرة علي الإنفعالات

1 – السيطرة علي الخوف من الموت - فقد بين لنا القرآن أن الحياة الدنيا حياة فانية وأن نعيمها ذائل لا محالة وأن الحياة الآخرة هي الحياة الباقية

وأن نعيمها خالد وأن الموت هو مرحلة انتقالية فقط فالمؤمن الصادق الإيمان لايخاف الموت – لأنه يعلم أن هناك بعث وأن هناك لقاء وجه الله ونعيم الجنة.

قال تعالى (وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ) العنكبوت 64

قال تعالى (يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْأَخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ) غافر 39.

قال تعالى (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ) آل عمران 185.

2 – السيطرة علي الخوف من الفقر: فلابد للإنسان المؤمن أن يعلم يقينا أن الرازق والمنعم هو الله قال تعالى (إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ) الذاريات 58.
قال تعالى (وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) الذاريات 22.

قال تعالى (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ) هود 6.

قال تعالى (ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ) العنكبوت .62

3 – السيطرة علي الغضب: فقد أوصانا القرآن الكريم بالتحكم في انفعالات الغضب فحينما يغضب الإنسان يتعطل تفكيره ويضعف تركيزه ويفقد قدرته علي إصدار الأحكام الصحيحة ولذلك فإن التحكم في انفعالات الغضب مفيدا من عدة وجوه فهو يحفظ الإنسان قدرته علي التفكير السليم وبالتالي إصدار الأحكام الصحية فلا يتورط في ردود أفعال سريعة ثم يندم بعد ذلك.

قال تعالى (وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ) فصلت 34.

قال تعالى (ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ) النحل 125.

4 – السيطرة علي انفعالات أخرى مختلفة: مثل الزهو والكبرياء أو التعالي علي الناس فلا يجب أن نسرف في الفرح علي ما يأتينا من خير، أو مثاله من نجاح أو تفوق أو شهرة أو جاه ولا يجب أن يدفعنا ذلك إلي الزهو والاستكبار والتفاخر بين الناس.

حيث إن كل شيء إنما هو في علم الله تعالى وحده ومرهون بمشيئته وحده فلا داعي للتباعي أمام الناس بمالك وأولادك أو علمك أو منصبك أو بنسبك أو سلطانك.

قال تعالى (مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) الحديد 22-23.

وعلي وجه عام فإن الله سبحانه وتعالى يوصينا بضبط انفعالاتنا والتحكم فيها والسيطرة عليها وإن الإيمان بالله إيمانا صادقا يمدنا بعزيمة وقوة إرادة تمكننا من التحكم في انفعالاتنا والسيطرة عليها - وأن المؤمن الصادق الإيمان لا يخاف إلا من الله وحده – فهو لا يخاف من الموت ولا من الفقر ولا من البشر أو أي شيء آخر في الوجود.

وهو يكظم غيظه فلا يثور لأتفه الأسباب وهو لا يغضب إلا لما يغضب الله وهو يسيطر علي حزنه لأنه يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له: وهو متواضع لأنه يعلم حق قدره وأنه مهما علا في المال ، والأولاد أو السلطان فهو بشر مثل باقي البشر وكل ما لديه من نعم إنما هي من عند الله وهو القادر علي نزعها فلا داعي للزهو أو التفاخر أو الكبرياء ويعلم أن من تواضع لله رفعه ومن تكبر وعلى فلينظر عاقبة من علوا في الأرض قبله من أمثال -فرعون – وقوم عاد وثمود ونوح وغيرهم.

الإنسان الكامل

ما مهمة الإنسان في هذه الأرض؟ وما منزلته بين الخلائق التي خلقها الله عز وجل في هذا الوجود؟ ... يقول الله تعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) الإسراء آية 70.

وفي سور كثيرة من القرآن الكريم ذكر الله عز وجل أنه حين خلق الإنسان الأول – وهو آدم أبو البشر – أسكنه الجنة، وأمر الملائكة أن يسجدوا له فسجدوا ، إلا إبليس فإنه أبى واستكبر.

قال تعالى (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ) الأعراف آية 12

فكان جزاؤه أن طرده الله من الجنة، وتوعده بالعقاب الشديد، فخرج منها وهو يضمر العداوة لآدم، وآلى علي نفسه أن يفسد عليه وعلي بنيه حياتهم، وان يغويهم ويستهويهم بكل أساليب الخداع والمكر، حتى ينحرف بهم عن طريق الخير إلي طريق الشر، ويعدل بهم عن أسباب السعادة إلي أسباب الشقاء؛ وتمنى علي الله أن يؤخره إلي يوم القيامة، حتى يؤدي هذه المهمة التي رصد حياته لها، وعاهد نفسه عليها .. فأجابه الله– عز وجل – إلي ما تمنى.

قال تعالى (قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ﴿٦٣﴾ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا) الإسراء الآيات 63 ، 64 ، 65.

وهكذا بلغ الشيطان أمنيته في البقاء، وأخذ يعمل في الكيد لآدم حتى استطاع أن يخرجه من الجنة كما خرج هو منها، وهبط آدم والشيطان إلي الأرض وكل منهما يضمر العداوة لصاحبة.

ماذا كانت مهمة الإنسان في الأرض؟

يقول الله تعالى (وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ) سورة البقرة آية 30.

كانت مهمة الإنسان إذن أن يكون خليفة الله في الأرض، ليقيم فيها الحق والعدل، ويعمرها بالخير والسلام. وكانت مهمة الشيطان أن يصرفه ما استطاع عن بلوغ هذه الغاية. ومنذ ذلك العهد البعيد والصراع بين الإنسان والشيطان قائم في الأرض لا يخلو منه مكان ولا زمان ، وهي معركة الخير والشر، التي أراد الله لها أن تظل دائرة حتى تقوم الساعة.

قد يقول قائل: ولماذا أراد الله لهذه المعركة أن تدوم في الأرض، ما دام سبحانه يريد أن يعمرها بالخير والسلام؟ ولماذا سلط الشيطان علي الإنسان وقد اختاره ليكون خليفته في إقامة الحق والعدل؟ ولماذا لم يذلل له الطريق ويحول بين الشيطان وبينه، حتى يتسنى له أن يصل إلي الغاية التي أرادها له؟ وإذا كان الشيطان قد سلح بكل قوى الإغواء ليصرف الإنسان عن غايته، فهل سلح الإنسان بما يقاوم هذه القوى حتى يحقق الغاية من وجوده؟

هذه أسئلة قد تدور في الرءوس وتجري في الخواطر، وقد يدور غيرها وغيرها حول هذه المشكلة، ولكي نستطيع الجواب عليها ينبغي أن تقف قليلا حتى ننظر في طبيعة الإنسان وفطرته التي فطرها الله عليها.

يقول الله تعالى (ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ) سورة السجدة 7، 8، 9.

ويقول سبحانه(وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ

فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ)سورة البقرة 31 -33

ومفهموم هذا أن الإنسان خلق من عنصرين:

1- عنصر أرضي، هو عنصر الطين الذي يشترك فيه مع سائر الخلائق التي تدب علي الأرض، من حيوان وطير .

2- وعنصر سماوي هو هذه النفخة الروحية التي كرمه الله بها، وأودع فيها سر المعرفة التي امتاز بها الإنسان، وصار قادرا علي أن يدرك مالا يدرك غيره من الخلائق التي تشاركه الحياة في الأرض.

وهو ما يشير إليه قوله سبحانه: (ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ) سورة السجدة 9.

وقوله جل شأنه (وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا) سورة البقرة 32.

فبمقتضى العنصر الأرضي في الإنسان ركبت فيه الغرائز التي يحتاج إليها الجسم في نموه وسلامته وصلاحيته للحياة، وهي غرائز يشترك الإنسان والحيوان في كثير منها: فكلاهما جسم يتركب من عظم ولحم ودماء وعروق وأعصاب وغير ذلك؛ وكلاهما يحتاج إلي الغذاء الذي يقيم حياته، وإلي القوة التي يقي بها نفسه، وإلي التناسل الذي يحفظ به نوعه؛ وكلاهما يندفع بحكم غرائزه إلي السعي في سبيل قوته، وإلي القتال في سبيل حياته، وإلى التزاوج في سبيل نوعه، وتحت تأثير هذه الغريزة ينشأ ما يكون في الإنسان والحيوان

من رغبة وبطش وشهوة، وما يترتب علي كل ذلك من مظاهر الطمع والظلم، والشح والأنانية، والإندفاع مع الشهوة، والميل مع الهوى.

فالإنسان من هذه الناحية المادية يستوي مع الحيوان في الاندفاع الغريزي نحو الحياة، ولكن العنصر الروحي فيه يرفعه عن مستوى الحيوان، بحيث يجعله يستطيع أن يتحكم في غرائزه ويهيمن عليها، حيث يملكها ويستخدمها علي بصيرة وهدى، في كل ما يهم حياته علي الأساس الذي يليق به كإنسان، فهو لا يندفع مع الغريزة اندفاعا أعمى كما يندفع الحيوان، بل يستخدم كل ما وهبه الله من القوى العاقلة في الهيمنة عليها والانتفاع بها، حتى تؤدي أغراضها في غير ما ضرر به ولا بالمجتمع الذي يعيش فيه.

وفي الإنسان من هذه القوى قوتان بارزتان هما "العقل والإرادة".. فالعقل هو القوة المدركة التي يستطيع الإنسان بها أن يدرك ويعقل، ويميز الخير من الشر والنافع من الضار، والإرادة هي القوة العاصمة التي يستطيع بها أن يضبط حركاته وسكناته، فلا يقدم ولا يحجم، ولا يفعل ولا يترك، ولا يتكلم ولا يصمت إلا علي هدي العقل وإرشاده، لا على دفع الغريزة وانطلاقها، فالإنسان بهاتين القوتين ليس عبدا لغرائزه، بل هو ملك عليها يحكمها ولا تحكمه، ويوجهها ولا توجهه، وهذا فرق ما بينه وبين الحيوان الأعجم؛ وبمقدار ما يحسن الإنسان من استخدام هاتين القوتين، يكون الفرق بينه وبين الحيوان.

هذا بالإضافة إلي قوة ثالثة كرم الله بها الإنسان وميزة علي غيره: وهي "الضمير" وهي قوة لها اعتبارها بين قوى الإنسان، لأنها قوة خيرة، توجه

دائما إلي الخير وترده عن الشر، وتهيمن علي الإنسان في كل أحواله، وتراقبه في كل أفعاله، وتنزع به إلي الندم إذا وقع في الإثم، وتمعن في إيلامه وتبكيته إذا تمادى في الغواية. وقلما خلا إنسان من وخز الضمير مهما كان طبعه.

فهذه القوى الثلاث إنما هي حصون حصَّن الله بها الإنسان ضد عدوة الشيطان فالعقل بإدراكه يميز بين الخير والشر، والضمير بحساسيته يدفع إلي الخير ويمنع عن الشر، والإرادة بقوتها تفعل أو تترك حسبما يوجهها العقل والضمير وجميعها قوى خبر لأنها أثر من آثار النفخة الروحية التي كرم الله بها الإنسان، ولا شك أنها أسلحة قوية يستطيع الإنسان بها أن يتحكم في غرائزه، ويرسم لها النهج الذي تسير عليه، حتى تؤدي وظائفها علي خير وجه؛ كما أنها أجنحة قوية يستطيع بها أن يحلق في جو السماء، ولا نقصد بالسماء تلك الكواكب والنجوم ولا ذلك اللون الأزرق الذي يعلو رءوسنا؛ إنما نقصد بالسماء كل أفق من آفاق السمو إلي المثل الأعلى، وكل معنى كريم من معاني الخير، وكل خلق عظيم يسبغ علي الفرد والجماعة روح السعادة، من الصدق والوفاء، والعدل والأمانة، والمحبة والإخلاص، والمروءة والشجاعة، والتضحية والإيثار، والرحمة والحنان، والعفو والإحسان.. إلي غير ذلك من كل معنى فاضل تستريح إليه النفس. ويطمئن إليه الضمير.

هكذا برأ الله الإنسان، فلم يجعل حياته مادية صرفه كحياة الحيوان، ولا روحية صرفه كحياة الملائكة؛ بل جعلها مزيجا من المادة والروح، ليتلاءم وجوده من ناحيته المادية مع طبيعة الأرض التي يحيا عليها جسمه، ومن ناحيته الروحية مع طبيعة السماء التي تهفو إليها روحه "فكأن له إلي جانب

بشريته ناحية روحية، تعود عليه بكل خصائص الحياة الكريمة، وتجعل له في طبيعته مصدرا لإلهام الخير وصفات الكمال.

ولما كانت الخلافة ميدانها الأرض، فقد سخر الله للإنسان كل ما فيها وكل ما يحيط بها من السماوات، والشمس والقمر، والكواكب والنجوم، والرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض، ليستخدم مواهبه في اكتشاف أسرارها، والعمل في أرجائها، وينشر الخير والسلام في نواحيها، ويقمع البغي والعدوان والظلم، ويؤدي عن الله فيها كل ما يريد لعباده من أمن وطمأنينة وسلام...

قال الله تعالى (ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ) سورة إبراهيم 32- 34.

قال تعالى (أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ) سورة لقمان 20.

فالله عز وجل لم يترك الإنسان هملاً، ولم يهبط إلي الأرض وهو أعزل؛ بل سلحه بكل قوى الخير، كما سلح عدوه الشيطان بكل قوى الشر؛ "وبين له سنن الكائنات التي تحكمها، وتضبط خيرها وشرها، وتنظم نفعها وضرها؛ وبث فيه من أسرار الفهم والاستعداد الفطري ما يكشف به تلك النواميس

والسنن .. وجعل له من مواهبه قوى تناسب طبيعة العمل الأرضي البحت، وأخرى ذات روح إلهية لا تمت إلي الأرض بصلة، ولا تستمد طاقتها من عالم الأرض، وإنما تستمدها من نور الله وفضله سبحانه ... فليس في مواهب المرء شيء يزيد مثقال ذرة أو ينقص عن مقتضيات الوفاء بحقوق الخلافة التي أعده الله لها وكرمه بها ... فإن هو أدى الذي عليه ونهض بحق ما ألقى إليه، فقد أنصف نفسه، وكان عند ما أراد الله له من كرامة؛ وإن أرادها ملهاة ومأكلة وشهوة، وعطل بعض مواهبه دون بعض فقد غير خلق الله، وانسلخ عما أراد الله له من الكرامة والخير".

وكان كما يقول الله سبحانه (وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ) سورة الأعراف 175 - 177.

بكل هذه المواهب والقوى أمد الله الإنسان، وأعده ليكون أكمل الخلائق نشأة وأرفعها قدرا، وأهداها سبيلا، فما علي الإنسان – وقد أمد بكل ذلك – إلا أن يلائم بين مواهبه ويوائم بين قواه حتى يسير بها في الطريق السوي، وإلا أن يراعي سنن الله في الكائنات حتى يحقق بها الخير والنفع لنفسه ولمن

حوله؛ فإن الله – تبارك وتعالى – خلق الأشياء كلها لخير الإنسان ونفعه، ولكنه لم يخلق شيئا بحيث يكون نفعا محضا ولا بحيث يكون ضررا محضا، بل أودعها جميعا قابليتها للنفع والضر، وجعل لكل شيء قدرا يتحقق به نفعه وينتفي به ضرره فإذا استعمل الشيء فيما خلق من أجله وبالقدر الذي حدد له كان خيرا ونعمة، وإن أسئ استعماله أو تجاوز به مقداره كان شرا ونقمة. "وأبداً تكون الحياة من يد الله صحيحة سليمة، وإنما تفسدها يد الإنسان"، وهكذا تجري القاعدة مطردة كما بينها القرآن الاكريم

قال تعالى(مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ) سورة النساء 79.

وقوله تعالى (مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَا) الإسراء آية 15.

وليس من شك في أن الإنسان إذا لاءم بين مواهبه وقواه، وسيطر بعقله وإرادته وضميره علي غرائز الجسم، وراعى سنن الله في استخدام الأشياء، فلن يكون للشيطان عليه من سلطان، ولكن الشيطان كثيرا ما يغرر به ويستهويه، وكثيرا ما يستدرجه ويستزله حتى يفسد عليه ذوقه ورأيه وتقديره، ويزين له سوء عمله فيراه حسنا، وإنما يأتي الشيطان غريمه من طريق غرائزه، فلا يزال يثيرها ويستفزها ويهدهدها حتى تكون أغلب عليه من عقله وضميره وإرادته، فيندفع معها اندفاع الحيوان ... ذلك أن غرائز الإنسان أضعف نواحيه وأوهنها، لأنها أرضية هابطة ترضي بالتافهة من

المتاع وبالدون من المنزلة، شأنها في ذلك شأن الغرائز في كل حيوان يدب علي الأرض "أما خصائصه الروحية فلا قبل للشيطان بها ولا سلطان له عليها، لأنها سر الله – عز وجل – في ابن آدم، وحصنه الذي حصنه به وآواه إليه، ولا يزال المرء في قوة ومنعة ما استعز بهذا السر واحتمى بهذا الحصن، فإذا غفل عنه أو تهاون في الركون إليه كان كمن ألقى سلاحه واستسلم لعدوه، فكان أهون شيء علي الشيطان أن يغويه، لأنه حينذاك لا يكون إلا في حماية غرائزه، وهي أضعف نواحيه تماسكا وأكثرها تهالكا وانهيارا.

وقديما أتى الشيطان آدم وحواء من قبل الغريزة، فعمد إلي غريزة "حب التملك" وإلي غريزة "حب البقاء" فأثارهما في نفسيهما، وقال (فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ) الأعراف20 : 24.

وهكذا لم يستطع الشيطان أن يخدع آدم وحواء إلا من طريق الغرائز؛ فلما تنبهت فيهما خصائصهما الروحية أدركهما الندم والألم، فسارعا بالتوبة والرجوع إلي الله عز وجل.

ولقد كانت هذه الخصائص كافية وحدها لعصمة الإنسان من غواية الشيطان، لو أنه اعتصم بها واعتمد عليها في مقاومة عدوه، ولكن الشيطان محتال خبيث "يجري من ابن آدم مجرى الدم"، ويتسرب إليه من كل مدخل خفي حتى يلبس عليه أمره، ويعمي عليه وجه الصواب فلا يرى الحق حقا ولا الباطل باطلا، والله عز وجل – يريد للإنسان أن يكون أهلا لما خصه به من الكرامة، ويريد له ألا يضل في متاهات البهيمة الحمقاء بعد ما ميزه بكل تلك الخصائص، ويريد له أن يؤدي حق الخلافة التي هيأه لها، وأعده لاحتمال تبعاتها؛ وهي أمر ليس بالهين لأنها خلافة عن الله الذي يقول الحق وهو يهدي السبيل، والله يريد لخليفته أن يتخلق بأخلاقه، وأن يتبين الحق واضحا في كل شيء كى لا يزله الشيطان عنه، من أجل ذلك تعهده – عز وجل – بالتربية منذ كان، كما يتعهد الوالد ولده العزيز، حتى ينشئه علي أحسن ما يريد له من طباع الخير وكريم الخصال.

قال سبحانه (يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفًا) النساء 26 - 28.

نعم، فقد جعل – سبحانه – يوصي الإنسان منذ نشأته أن يحرص علي ما حصنه به من القوى، وعلي ما رفعه إليه من المنزلة، وظل في كل مناسبة يحذره من الشيطان أن يغلبه علي مواهبه أو يخدعه عن منزلته، كما يحذر الوالد ولده من قرين السوء، ولم يدع فرصة تمر دون أن يكرر له النصيحة ويعيد عليه الوصية حين حذر منه آدم أبا البشر وهو لا يزال في الجنة.

قال تعالى (فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ) طه 117 :119.

وحذره منه بعد أن هبط به إلي الأرض، فقال (قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ) طه 123 ، 124.

وحذر منه بني آدم مذكرا بما كان من خداعه لأبويهم حتى أخرجهما مما كانا فيه

فقال عز وجل (يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ

هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) الأعراف 27.

وقال تعالى (إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ) فاطر 6.

ولم يزل سبحانه يتعهد بني آدم بالتحذير من غواية الشيطان، ويتخولهم بالنصح والإرشاد من حين إلي حين، ويرسل إليهم رسله وأنبياءه أمه بعد أمه وجيلا بعد جيل، ومعهم الكتب والشرائع، ليبينوا لهم طريق الحق ويهدوهم سواء السبيل، وليضربوا لهم المثل بسلوكهم علي أن الإنسان يستطيع بما وهبه الله من القوى أن يغالب الشيطان، وأن يقيم خلافه الله في الأرض علي خير وجه، وأن يحقق فيها كل ما يريد الله من معاني الحق.

فلم تكن مهمة الرسل والأنبياء مقصورة علي تبليغ شرائع الله، بل كانت مهمتهم كذلك أن يكونوا أمثلة عملية في تنفيذها وتطبيقها علي أنفسهم، وأن يكونوا قدوة للناس في حشد القوى الإنسانية لإقامة الحق، وفي مجاهدة الشيطان أن ينحدر بإنسانيتهم إلي درك الحيوانية الهابط، ومن أجل ذلك جعل الله الرسل والأنبياء بشرا لا ملائكة، فيهم من الغرائز والمواهب ما في سائر الناس، ولكنهم كانوا حكماء في استخدامها، فلم يقتلوا غرائزهم ولم يميتوا شهواتهم؛ بل حكموا فيها عقولهم وضمائرهم، فضبطوها وسيطروا عليها، وساروا بها علي وفق ما أراد الله منها، ونهجوا بها النهج الذي بلغ بهم غاية

الكمال الروحي كما بلغ بهم غاية الكمال الجسماني؛ فوضعوا أنفسهم بذلك في المنزلة الكريمة وكانوا بما أوتوا من الحكمة خير النماذج للإنسانية الكاملة.

قال سبحانه (يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ) البقرة 269.

وإذا كان المثل الأعلى – كما يقولون – هو جماع المحاسن والكمالات التي تكون عادة في مختلف الأفراد، مجردة من شوائب النقص بحيث يتكون منها مثال كامل للجنس ... فقد كان الرسل والأنبياء مثلا عليا للجنس البشري، ونماذج كاملة في كل زمان ومكان أرسلوا فيه، وكانت مهمتهم أن يعلموا الناس – بأقوالهم وأفعالهم – كيف يستفيدون بما وهبهم الله من القوى في إسعاد الخليقة، وكيف يغالبون قوى الشر التي تريد أن تفسد الحياة في الأرض.

وقال سبحانه وتعالى (رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) النساء 165.

وقد كان كل نبي من أنبياء اله مثلا أعلى، وكان قدوة حسنة للذين أرسل إليهم، وكان يمكن أن يكون قدوة لمن جاء بعده لو عرف تاريخ حياته علي الوجه الأكمل واتيحت له كافة الفرص لإظهار الفضائل التي كان يتحلى بها، ولكن أصحاب الأنبياء السابقين لم يسجلوا إلا القليل من أقوالهم، ولم تتح لبعضهم الفرص الكافية لإظهار فضائلهم وأخلاقهم وأفعالهم؛ كما أن الزمان

ذهب بآثار الكثير منهم، فلم تبق لأحد منهم صورة كاملة من سجل حياته، ولا شخصية تاريخية واضحة المعالم يمكن الاقتداء بها والسير علي هداها.

أما محمد – صلى الله عليه وسلم – فهو الشخصية التاريخية الوحيدة التي وضحت كل معالمها، والتي سجل معاصروها كل أقوالها وافعالها فلم يتركوا منها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصوها، فهو النبي الوحيد الذي يمكن أن يسمى شخصية تاريخية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان، إذ إن سيرته معروفة منذ نعومة أظفاره إلي أن إختاره الله لجواره، وسجل حياته كأمل غير منقوص، وسننه القولية والفعلية يتمم بعضها بعضا، وكأن كل مطلب من مطالب الحياة الإنسانية قد قدر له وعمل حسابه، فكل ما يعرض للإنسان مما دق أو جل يتجلى في مرآة حياته. وهو النبي الوحيد الذي مارس بالفعل كل المبادئ التي كان يلقنها للناس، ولن تجد في القرآن حكما أو أمرا لم يعمل به النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وإذا كان القرآن يفصل لنا الأخلاق علي اختلاف أنواعها، فإن حيا ة النبي محمد تصورها لنا بألوانها الحقيقية، وقد تقلب صلى الله عليه وسلم – منذ كان يتيما إلي أن صار رسولا – في جميع مراحل الحياة، فمارس ظروفها ووفى بحقوق المراتب كلها، وبذلك صار المثل الأعلى للقدوة الكاملة .. فقد كان طفلا وشابا وشيخا، ووالدا وأخا وزوجا، وجارا ورفيقا وصاحبا، وجنديا وقائدا وفاتحا، ومهاجرا ومضطهدا ومضاردا، وتاجرا وملكا وقاضيا، ورجلا في السراء والضراء وكان في كل هذه المراتب علي اختلافها هو هو لم يتغير من البداية إلي النهاية، وكان مثال "الإنسان الكامل" أو الجنتلمان كما يقول الإنجليز، ثابتا علي العهد لم يتغير طبعاً ولا خلقا، ولا اختلفت معاملته

للناس، ولا تغير أسلوب معيشته فإذا كان الرخاء قد أظهر منه السخاء والعفو والشهامة والمروءة فإن الشدة قد أظهرت منه الصبر علي النائبات، والثبات عند الملمات، والثقة في خالق الأرض والسماوات".

وصدق الله العظيم إذ يقول (لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا) الأحزاب آية 21.

الجزء الثاني
القدوة الحسنة

(لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ)

الأحزاب الآية

الجزء الثاني

القدوة الحسنة

أحوال الجزيرة العربية قبل البعثة

كانت حالة الناس قبل مبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد وصلت من الفساد إلي أقصاه وبلغت البشرية الدرك الأسفل من الانحطاط وغشت العالم كله ظلمات الكفر والجهل والفجور بعد أن غير الناس وبدلوا في الدين وحرفوا كثيرا مما أنزل الله علي رسله من الكتب وعبدوا من دون الله آلهة شتى؟؟ فالبوذيون كانوا يعبدون بوذا والهندوس يعبدون البقر والمجوس يعبدون النار وكانت أمم تعبد الملائكة والجن، وأمم تعبد الصور و التماثيل وامم تعبد أرواح الموتى وآثارهم وكانت أمم تعبد مظاهر الطبيعة وتقدسها – مثل الشمس والقمر والنجوم والكواكب، ومنهم من يعبد الأشجار ومنهم من يعبد الأنهار... ومنهم من يعبد الأصنام والحجارة.

قال تعالى (وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ) سورة التوبة آية 30.

وتفرق أهل كل دين إلي مذاهب وشيع واشتد بينهم الخلاف والجدل حتى غدا الدين الواحد خليطا من المذاهب المتناقضة وسادت الخرافات والأوهام وشاعت الإباحية والفوضى وارتكبت الفواحش باسم الدين.

قال تعالى: (ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ) آية 41 سورة الروم.

وكان العرب أسوأ الناس حالا وأشدهم إمعانا في الجهالة والضلالة فقد أشركوا بالله، وعبدوا كل ما هب ودب من الأصنام والأوثان والأنصاب والتماثيل وعبدوا الملائكة والجان، وأعتقدوا أن الهواء والماء والشمس والقمر والكواكب والنجوم والحجارة تتصرف في أمورهم وفي مستقبل حياتهم، فكان إيمانهم بالله الذي يعرفون جيدا أنه هو الذي خلق السماوات والأرض ولو سألتهم عن هذا الخالق سيقولون الله فهم يعتقدون بأنه الإله الأكبر الذي يخلق ويرزق ويحي ويميت ولكنهم يؤيمنون بأن هناك آلة أخرى أو كلها الله سبحانه في بعض التصرفات مثل شفاء المرضى ومنح الذرية وإنزال الغيث وتصريف الرياح وإبعاد المجاعة وكشف الضر وجلب الخير وأن هؤلاء الآلهة هم فقط وسائط بينهم وبين الله يتوسلون بهم إليه في طلب الحاجة ودفع الضرر وطلب الشفاعة والعفو عن تجاوز الذنوب وبالغوا في عبادة الأصنام حتى ملئوا بها الكعبة المشرفة حتى وصل عددها ثلاثمائة وستون صنم وكان هبل واللات والعزى، رؤساء هذه الآلهة وكان لكل قبيلة صنم أو إله خاص بها وكل بيت له صنم خاص به – وكانوا يستبشرون بها ويقدسونها ويعبدونها ويقدمون لها القرابين والذبائح ويستخيرونها في أمور دنياهم رغم أنها لا تنطق، أما بخصوص وضع ومكانة المرأة في الجاهلية وقبل البعثة فكان وضعها يعد مظهرا من مظاهل الظلم والقسوة في حياتهم حيث أن المرأة كانت في نظرهم نوعا من المتاع فلم يكن لها نصيب من الميراث، بل كانت هي نفسها تورثَّ مع التركة .... وكان الوارث له مطلق

التصرف. فإن شاء تزوجها وإن شاء زوجها من غيره بالإضافة إلي الجواري ولم يكن للزواج عندهم حدود ولا للطلاق قيود فللرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء وله أن يطلق المرأة متى شاء ويراجعها متى شاء أو يعلقها بين الاثنين ومن مظاهر الظلم والإذلال ما كان يجري من إرغام الجواري علي كسب المال بأعراضهن وكانت الأنثى علي العموم مجلبة للحزن والعار، فكان العربي يحزن أشد الحزن إذا ولدت له أنثى وبعضهم كان يئد البنات "يدفنهن أحياء" مخافة العار والفقر.

وفي ذلك قال الله تعالى (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ) سورة النحل آيات 58 ، 59.

وكان الربا والخمر والميسر من ضرورات حياتهم وكان السكر والعربدة وانتهاك الأعراض من المفاخر التي يتغنون بها في أشعارهم ومجالسهم وكانت اللذة والمتاع أسمى ما تصبو إليه نفوسهم فكان همهم الطعام والشراب والملذات قبل أن يدركهم الموت أما ما وراء الموت فلم يكن في حساباتهم قط حيث كانوا يعتقدون أن الحياة هي الحياة الدنيا، وأن الموت هو النهاية الأبدية ولا يؤمنون بالبعث وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعثون؟ أو آباؤنا الأولون؟؟ وكانوا يعدون الكلام عن البعث بعد الممات ضربا من الجنون وشيئا مستحيل.

قال تعالى (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ) سورة سبأ الآيات 7-8.

فقد كان هذا وضع الجزيرة العربية السائد من الجهل الذي أفسد دينهم وزلزل عقائدهم، وهذه الخرافات التي سيطرت علي عقولهم وقلوبهم وهذه الفوضى التي سادت نظمهم وتقاليدهم، وهذه البهمية التي صبغت حياتهم وهذه العداوة التي مزقت وحدتهم، وهذه الحروب التي أنهكت قواهم.

هذه الجهالة والضلالة هي التي جعلت نفرا من حكمائهم يفكرون في أمر دينهم ويتساءلون فيما بينهم: أهذا هو الدين الذي يرضاه الله لعباده؟؟ أهذه هي الحياة التي تليق بالإنسان؟؟ - ألم يخلق الإنسان إلا ليأكل ويشرب ويقضي مأربه وشهواته؟؟ فما الفرق إذا بينه وبين الحيوان الأعجم؟ وجعلوا يتفكرون وينظرون حولهم للمقارنة بين الأديان المختلفة فكانوا يبحثون عن الحنفية السمحة.

قال تعالى (قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ) سورة البقرة135.

ونذكر علي سبيل المثال لا الحصر "موضوع تعدد الزوجات في الإسلام

- أ النكاح في الجاهلية

عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن النكاح في الجاهلية كان علي أربعة أنحاء: فنكاح منها نكاح اليوم: يخطب الرجل إلي الرجل وليته أو ابنته

فيصدقها ثم ينكحها ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلي غلام فاستبضعي منه "طلب الجماع حتى تحمل منه" ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي يستبضع منه فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب وإنما يغفل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع.

ونكاح آخر: يجتع الرهط "جماعة دون العشرة" ما دون العشرة فيدخلون علي المرأة كلهم فيصيبها، فإذا حملت ووضعت ومر ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنكم يا فلان – تسمي من أحببت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل.

والنكاح الرابع والأخير: يجتمع الناس الكثير فيدخلون علي المرأة لا تمنع من جاءها وهن البغايا كن ينصبن علي أبوابهم رايات تكون علما فمن أراهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها – جمعوا لها ودعوا القافة "الذي يتعرف علي شبه الولد بالولد ثم الحقوا ولدها بالذي يرون فالناطة به، وعى ابنه لا يمتنع من ذلك".

فلما بعث محمد – صل الله عليه وسلم- بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم،، "أخرجه البخاري في النكاح باب من قال لا نكاح إلا بولي رم 5127".

هذا وقد شارك في صباه بالانضمام إلي حلف الفضول وهو الذي تعاهد وتوافق بعض رجال من أولى الخبرة وتواثقوا بينهم علي إقرار العدالة

وحرب المظالم وتجديد ما اندرس من هذه الفضائل في أرض الحرم، وكان عددهم(9) تسعة من قريش وذلك قبل عام الفيل "أي قبل ولادة المصطفى عليه السلام وشارك في بناء الكعبة وحل مشكلة رفع الحجر الأسود وأرضى كل القبائل ورفعه ووضعه بيده الكريمة في المكان الموجودة به حتى الآن.

وفي بداية آية الوحي فإن أول سورة نزلت علي رسول الله هي سورة العلق قال تعالى (ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ) العلق 1-3.

فكانت بداية صعبة وقاسية جدا علي إنسان يجلس وحيدا في غار حراء.. فهو يسمع صوت ولا يرى أمامه إنسان أو مصدر الصوت – ثانيا: يطلب منه أن يقرأ وهو أمي لا يعرف القراءة والأمر الثالث وهو الأخطر والأصعب علي الاستيعاب والفهم في ذلك الزمان أن يقول له من يحدثه إن ربك الذي خلق- خلق الإنسان من علق فكيف يكون ذلك وما هذه الإهانة للإنسان حين تقول له أنه خلق من علق ثم بعد ذلك والأصعب كيف أن تستطيع أن تبلغ الناس بأن الله قد أرسله إلي الناس وما الدليل الذي تستطيع أن تبلغ الناس بأن هناك رسالة من الله وأنه رسول الله إلي الناس.

وكيف تبدأ بأن تقول لهم أن أصل الإنسان وخلقه من علقة فهل يستطيع أي إنسان علي وجه الأرض – وفي ظروق مماثلة للظروف التي يعيش فيها – سيد ولد آدم المصطفى عليه الصلاة والسلام أن يقول للناس الذين لا يعرفون الاختراعات الحديثة مثل المجهر أو الميكروسكوب وعلم الأجنة بأن يقول لهم أن الإنسان أصله علقة.

مع مراعات أن دارون في نظرية التطور– حينما ذكر أن الإنسان تطور من القرد – قوبل بحروب ومعارك كثيرة كأنه كفر وإهانة للإنسان رغم تقدم العلم.

فما بالك بأن يخبر المصطفى عليه الصلاة والسلام الناس قبل أي تقدم علمي بأن الإنسان خلق من علقة أي أصله علقة وتحمل مسئولية رد الفعل رغم جثامة الخبر ووقعه علي مسامع الناس وعلي هذا فقد بدأ رسول الله بتبليغ الرسالة بطريقة سرية ولا يحدث أحدا في الإسلام، والقرآن إلي بعد الثقة التامة وعمل اختبارات لتحمل وتلقي علوم وبيان من الله للكشف عن بعض الظاهر والباطن وما وراء الطبيعة.

وبدأ بأكثر الناس ثقة ومحبة إلي قلبه وهم زوجتة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأبو بكر الصديق رضي الله عنه – ثم الصبي الذكي الشجاع ابن عمه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فالموضوع جد خطير وجلل ويحتاج إلي الثقة والسرية والصبر والصدق والأمانة وبدأت مرحلة الإعداد لتغيير مفاهيم وعادات وتغيير برامج عقلية للبشر.

وبدأ بتدريب أصحابه في سرية في بيت الأرقم ابن الأرقم – وقام بتدريبهم سرا علي مبادئ وأركان هذا الدين الحنيف الجديد بالنسبة لهم والذي يعتمد علي التوحيد والإيمان بالغيب – والإيمان بالبعث بعد الممات ثم أن هناك حساب ومحاكمة وعدل وهناك جنة أعدت للمؤمنين ونارُ أعدت للكافرين وترك عبادة الأصنام وتعدد الآلهة والإعتماد علي الماديات وعدم الاقتناع بأن هناك أي اتصال بين السماء والأرض رغم علمهم بذلك ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله – ولكن هذه الأصنام هي

للتقرب إلي الله والدليل علي ذلك بأن كثيرا من ابنائهم يسمونهم عبد الله – وعبد الرحمن كل ذلك قبل البعث والرسالة المحمدية – ولكن الشيطان كان يوسوس لهم بأن هذه الأصنام إنما هي تقرب إلي الله وليست شركا بالله ؟؟؟؟

قال تعالى: (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) الأحزاب 21.

قال تعالى (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) السجدة 3

قال تعالى (إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) الفتح آية 8.

قال تعالى (وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ) الأنعام 48 .

فالقدوة يكون هاديا ومرشدا يهدي الناس إلي طريق الخير ويرشدهم إلي الصراط المستقيم ومبشراً – ليبشر المؤمنين برضا الله ودخول جنته ومبشرا أيضا المؤمنين الصالحين بالإطمئنان والسكينة والسعادة في الدنيا وحسن الجزاء في الآخرة.

ونذيرا: تعني محذراً وناصحاً أمينا من الوقوع في المعاصي والتي تؤدي إلي خسارة الإنسان لنفسه والآخرين في الدنيا والعقاب ودخول النار في الآخرة فالمرشد والمنذر هو الذي يوجه ويحذر من عواقب المعاصي والعقاب بالنار التي وقودها الناس والحجارة.

وقد اصطفى الله رسله وأرسلهم بالبينات هادين ومبشرين ومنذرين واصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ليكون مكملا وخاتما لجميع الرسالات السماوية بعد أن تم النضوج الفكري للعقل البشري بعد تطور المدنية علي مر

العصور فكان القرآن الكريم متمما لرسالات التوجيه والهداية والبشارة والإنذار ولا حجة لإنسان بعد ذلك، ولن يقبل من أي إنسان غير دين إبراهيم الحنيف وهو دين الإسلام.

وفي العصر الحديث – قد اختار أو اعترف علماء الغرب – بأن رسول الله محمد هو أعظم عظماء العالم وهو علي قمة مائة (100) ممن اختارهم – المؤلف والعالم الأمريكي في هيئة القضاء الأمريكي تحت عنوان = الخالدون مائة (100) أعظمهم محمد رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وقد ترجم هذا الكتاب الأستاذ أنيس منصور وحتى لا نظلم الكاتب ولا نشك في نواياه – فقد ذكر أيضا بعض رسل الله في ترتيب هذا الجدول فكان ترتيب المسيح عليه السلام رقم (3) ورسول الله موسى رقم (16) والباقي هم من الخالدين من غير رسل الله – أمثال بوذا والقديس بولس وإسحاق بنيومين وجاليلو وأرسطو وآيتنين وداروين وغيرهم.

هذا العالم الأمريكي: هو مايكل هارت عالم فضاء ويهوى دراسة التاريخ الإنساني.

1- أما في العصر الجاهلي: فقد أطلق عليه الصادق الأمين ونذكر منها واقعة رفع الحجر الأسود – حيث ارتضى الجميع بحكم أول من يدخل عليهم أثناء خلافهم علي رفع الحجر– وكانت فرحتهم بدخول الأمين وسعدوا بحكمه.

2 – قول أبي سفيان إلي هرقل ملك الروم حيث وجد في صفاته مكارم الأخلاق.

3 – كذلك قول عمرو ابن العاص للنجاشي ملك الروم وذكر أيضا صفاته ومكارم أخلاقه.

4 – وحينما تقدم للزواج من أم المؤمنين خديجة بنت خويلد – ورحب به أهلها لنسبه وأخلاقه.

5 – وعند فتح مكة ودخولها قائدا منتصرا علي ألدُّ أعدائه وخصومة الذين تفانوا في إيذائه ولما سألهم ماذا يفعل بهم قالوا خيرا: أخ كريم وابن أخ كريم.

قال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء، وهذا لم يحدث علي مدى تاريخ البشرية هذا العفو الشامل والحرية المطلقة لخصومة وأعداء القائد المنتصر.

من هو المصطفى

هو الأمين وقد سماه جده محمدا وكانت أمه تدعوه أحمد، وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشَّر بي عيسى ابن مريم، أنا محمد وأحمد، أنا رسول الرحمة، وأنا الماحي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس علي قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي.

الموقف قبل البعث ومقياس الشرف والسلطة في الجاهلية

قد كان المال وحده هو المقياس الذي يقيسون به أقدار الناس، فبمقدار ما يكون لدى امرء من المال يكون له حظ من الشرف السيادة – وقد سيطرت هذه الفكرة حتى أصبحت عندهم في منزلة العقيدة ومن أجل هذا

وعلي سبيل المثال – قال: الوليد بن المغيرة: أينزل علي محمد وأترك أنا – كبير قريش وسيدها.

ويترك أبو مسعود – عمرو بن عمير سيد ثقيف، ونحن عظيما القرنين؟؟؟

فكان رد القرآن الكريم علي مثل هؤلاء .... قال تعالى في سورة الزخرف آية 32 قال تعالى (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ).

أحد المواقف الهامة التي تظهر مكانة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبل البعث وسط قومه فقد كان صلى الله عليه وسلم يلقب بالصادق الامين وحينما ثم تجديد بناء الكعبة المشرفة وحدثت مشكلة نيل شرف رفع الحجر الأسود- وتم اتفاقهم علي الأخذ برأي أول من يدخل عليم الحرم فكان أول من دخل هو محمد بن عبد الله، والمعروف لديهم بالأمين ففرحوا جميعا ورضوا بحكم الأمين والذي خلع ثوبه وجعلهم يرفعون الحجر الأسود علي ثوبه ثم حمله بيده الشريفة ووضعه في مكانه الموجود به حتى الآن وبهذا قد شرفه الله وكافأة علي أمانته بأن ينال شرف رفع الحجر الأسود ووضعه بيده الكريمة.

ماذا قيل في محمد من خصومة أو أعدائه

- أ في الجاهلية

1 – فقد أطلق عليه الصادق الأمين، وقد ذكرنا مثالا رفع الحجر الأسود.

2- ما قاله أبو سفيان إلي هرقل ملك الروم وذكر له مكارم أخلاقه وحسبه ونسبه

3 - وكذلك ما قاله عمرو بن العاص للنجاشي ملك الحبشة وتحدث عن حسبه ونسبه في قومه.

4- وعند فتح مكة ودخلها منتصرا قالوا عنه أخ كريم وابن أخ كريم.

-ب في العصر الحديث

قيل عن النبي –صلى الله عليه وسلم الكثير والكثير من الأعداء والمستشرقين خوفا من انتشار الإسلام وليس لشخص رسول الله –صلى الله عليه وسلم- رغم أنهم وضعوه في قائمة أعظم عظماء العالم المائة الذين غيروا مجرى التاريخ البشري وعلي سبيل المثال، تحدثوا كثيرا عن تعدد الزوجات والطلاق ولكنهم لم يستطيعوا أن يقولوا شيئا عن تحريم الخمر وفوائده لإنسان.

ففي موضوع الطلاق وهو التفريق بين زوجين لاستحالة سبل العيش بينهما وأصبحت حياتهم عبارة عن مشاكل وقلق وتربص وكراهية رغم أن العهد بينهما في الزواج والرباط المقدس يشترط أن يكون بينهم مودة ورحمة،

وأن يحافظ كل منهما علي الآخر في عرضه وماله وعياله فإذا استحالت هذه العلاقة فالطلاق فيه رحمة للاثنين فهو أبغض الحلال وهو من ناحية أخرى إطلاق الحرية لكل من الطرفين ليسعد بحياته الخاصة كما يريد فالطلاق إذا يعني الانطلاق والحرية وهو حلال – في حالة استحالة المعاشرة ولكنه أبغض الحلال لما يسببه من مشاكل أخرى أسرية للأبناء ومشاكل اجتماعية بين الأسر التي تفرقت بعد أن تجمعت من قبل بالزواج.

فنشكر الله ونحمده علي رحمته بعبادة المسلمين حينما تصعب عليهم المعيشة الزوجية المشتركة وعدم الالتزام بعهد الرحمة والمودة بأن خرج لهم بتصريح شرعي من الله الذي شرع رباط الزواج فهو شرع أيضا الطلاق فهو الذي يعلم فائدة فك هذا الرباط عند حدوث ضرر منه.

أما موضوع تعدد الزوجات فقد كان منتشرا في الجاهلية ولا يوجد حتى أقصى للزوجات.

ولكن الإسلام أتى وقنن العدد إلي أقصى وهو أربع زوجات واشترط العدل بينهم رغم صعوبته فمن خاف من عدم استطاعته في العدالة بينهم فعليه الاكتفاء بالزواج بزوجة واحدة.

مع مراعاة أن هناك بعض الفوائد من تعدد الزوجات مثل مرض الزوجة – أو الرغبة الملحة للزوج مع قدرته المادية والجسمانية علي ذلك أو الرغبة في كثرة الإنجاب فتعدد الزوجات ليس بفريضة علي كل مسلم حتى يقال أن كل مسلم يجب أن يتزوج أكثر من زوجة وتصبح فريضة علي المسلمين. ولكنها فقط خصَّة عند الحاجة الماسة مع الالتزام بالعدل بينهم.

فلو نظرت نساء الغرب بفكر مجرد وبعيد عن التعصب لوجدت أن هذه الرخصة الإلهية التي منحها الله للأسرة المسلمة، لوجدن أن المرأة حصلت علي الحقوق الكثيرة وإلزام الرجل بالقوامة عليها سوءاً كان ابنا أو زوجا حتى الطلاق فيه رحمة لها من العيش في مشاكل زوجية واسرية مدى الحياة.

نسب رسول الله –صلى الله عليه وسلم وعمله في شبابه

كان بيت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف جد رسول الله من الأب وبيت وهب بن عبد مناف بن زهرة جد رسول الله من الأم، كانتا بيوتا معروفة بالشرف والكرامة ، والطهر والعفاف ورعاية الدين والفضيلة فهم أشراف قريش فكان زواج عبد الله بن عبد المطلب من آمنة بنت وهب زواجا موفقا حيث اتحد فيه عنصر طيب بعنصر طيب واصل كريم إلي أصل كريم وقمة في الشرف والطهارة معا فكان من الطبيعي أن يكون ثمرة هذا العرس ثمرة طيبة مباركة ونسلا طاهرا كريما، ولكن إرادة الله ومشيئته أن يصبح هذا الطفل يتيم الأب والأم وهو في سن السادسة ولم يكن له غير ما تركه له أبوه – خمسة جمال- وقطعة صغيرة من الغنم وجاريته أم أيمن- وهي فتاة حبشية كانت تسمى بركة وهي التي احتضنته ورعته مع جده عبد المطلب وعمه أبو طالب فيما بعد.

محمد في قومه

نشأ رسول الله –صلى الله عليه وسلم- بين قومه في مكة يعيش كما يعيش الناس بأكل كما يأكلون ويشرب كما يشربون ويلبس كما يلبسون ويشارك القوم في أفراحهم وأحزانهم وفي كل ما تمليه ظرف الحياة عندهم في الحرب والسلم ولكنه كان شابا لم يتنزل إلي ما يتنزل إليه الشباب من عبث ولهو وجنون وهرج فما رئى يوما قط لا هيا ولا عابثا ولا آثما ولا فحاشا ولا معارا خمراً ولا قمراً بل كان سمته – الجد والعفاف – والصدق والأمانة وطابعة الوقار والكمال مع سماحة في الطبع ولاقة في الوجه وحلاوة في اللسان جعلته محببا بين من يحادثه أو بعاشره حتى لقبوه بعد هذه الصفات من الكمال بالآمين" ولا ينادي إلا به وقد عصمه الله من الموبقات السائدة في ذلك العصر، فلم يسجد لصنم ولم يقدم قرابين وشهد رسول الله وهو في سن العشرين، حلف الفضول – وهو حلف تداعت فيه قريش إلي نصرة المظلوم وهو الحلف الذي يجمع رجال من بني هاشم وبني عبد المطلب وبني أسد وبني زهرة وبني تميم وكانوا يجتمعون في بيت عبد الله بن جدعان وتعاهدوا علي الا يجدوا بمكة مظلوما إلا نصروه وكانوا خلفه حتى يرد إليه حقه.

فكان هذا الحلف أكرم وأشرف حلف سمع به في العرب وقد حدث رسول الله – صلى الله عليه وسلم- أصحابه عن ذلك الحلف فقال: لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لربه حُمْرَ النعم، ولو دعوت به

في الإسلام لأجبت" "حمر النعم، نوع من الإبل ممتاز جدا"، ثم عمل رسول الله بالتجارة- وكان له فيها شريك يسمى السائب بن أبي السائب.

صفات المصطفى صلى الله عليه وسلم التي ساهمت في نجاح الرسالة وتوصيل الأمانة

1 – وصف في الجاهلية بالصدق والأمانة وسمى الصادق الأمين.

2 – فصاحة اللسان واللغة.

3 – القدرة علي تأليف القلوب والحوز علي ثقة الناس.

4 – قوة الإيمان والصبر والغيرة البالغة علي نجاح دعوته فله من اللسان العربي أفصحه بسبب النشأة القريشية والرضاعة في بني سعد بن بكر.

قال صلى الله عليه وسلم: أنا قرشي وأسترضعت في بني سعد بن بكر ومن دلائل الثقة والصدق والأمانة عندما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كبار رجال قريش عند جبل الصفا – لكي يبلغهم برسالته بأمر من رب العزة لتبليغ أهله المقربين وسألهم "أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا يسفح هذا الجبل أكنتم تصدقونني؟؟

فيقولون "نعم، أنت عندنا غير متهم".

ولكن تغييرالعقيدة ليس بالأمر السهل وقد حدث ما حدث ولكن نجاح الدعوة يحتاج إلي صبر وتكرار ومعرفة عقلية وتفكير وعقيدة البشر الذين

يستمعون إلي الداعي وقد تحدث الإسناد الكبير – عباس العقاد في كتابه عبقرية محمد – من حيث عبقريته في الدعوة كداعية إلي الله من أعظم الدعاة بالحكمة والموعظة الحسنة والتحلي بمكارم الأخلاق ، ثم تحدث عن عبقريتة العسكرية في الغزوات والسياسة في المعاهدات- والإدارية بعد أن وضع حجر أساس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة وعن البلاغة والتبليغ وعبقريتة في الصداقة – فهو الصادق الأمين – والعطوف والودود – وهو رؤوف رحيم ثم عبقرية الرئيس والزعامة.

ثم عبقريته كزوج مثالي عادل بين زوجاته ولم يعتدي بالضرب عليهم مطلقا ويعطيهم حقهم في مساعدات يومية وعبقرية وقدرته كأب فكان عطوفا علي أبنائه وأحفاده وكان يعاملهم بمحبة وملاطفة ويحفظ حقهم في الرعاية والمداعبة وفي ساعات يومه. فهو يقسم يومه بين عبادة الله ووقت لزوجاته ووقت لأولاده وأحفاده، ووقت لأعمال الأمة والرعية.

ولا يجعل أي عمل منهم يطغي علي الآخر فهو يعمل لدنياه وآخرته – فهو القدوة وهو عظيم في عمل التوازن بين علاقته بربه وإعطاء نفسه حقها وكذلك علاقته بالأمة وأعماله المختلفة بدون أن تطغى أيهم علي الأخرى، ويحدث صراع داخل النفس وعبقرية كرئيس وصديق، وزوج وغيرها وأهمها كلها – مكارم الأخلاق حيث قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.[1]

(1) رواه البخاري في الأدب المفرط رقم "273"

دعوة إبراهيم + أحاديث الأحبار والرهبان – أساء رسول الله - صلى الله عليه وسلم-.

1 – دعوة إبراهيم عليه السلام لأهل مكة: إذ قا وهو يرفع القواعد من البيت قال تعالى (رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ) سورة البقرة 129..

2 – وكان الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى يتحدثون في بأمر رسول الله قبيل مبعثه لما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه حتى أن يهود المدينة "يثرب" كانوا يعتقدون أنه منهم، ويتوعدون به أهلها من العرب، لما كان بينهم من حزازات ومنافسات.

3 – وكان من أسمائه صلى الله عليه وسلم – محمد وأحمد فقد سماه جده محمدا وكانت أمه تدعوه أحمد، وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا دعوة إبراهيم، وبشر بي عيسى أنا محمد وأحمد – أنا رسول الرحمة وأنا الماحي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس علي قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي.

حتى أن بعض الحنفاء وبعض العرب سارع الكثير منهم بتسمية ولده "محمد" طمعا في أن يكون النبي المنتظر هو ابنهم محمد.

طبقات المجتمع المكي

كان المجتمع المكي ينقسم إلي ثلاث طبقات متميزة وهي:

1 – طبقة السادة من الأغنياء والزعماء.

2 – وطبقة الرقيق من العبيد والإماء والعامة.

3 – طبقة الأخلاف وهم الوافدون.

وكان المال وحده هو المقياس الذي يقيسون به أفراد وطبقات الناس – فبمقدار ما يكون لدى المرء من المال يكون له حظ من الشرف والسيادة وقد سيطرت عليهم هذه الأفكار حتى أصبحت عندهم في منزلة العقيدة، ومن أجل ذلك قال الوليد بن المغيرة أينزل علي محمد وأترك أنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود عمرو بن عمي سيد ثقيف، ونحن عظيما القريتين.

موقف التحدي

وكانت في الكلمة التي ألقاها إلي عمه أبي طالب يوم أخبرته قريش بأن يختار بين أن يكف عنها ابن أخيه أو تكون الحرب بينهما وبينه حتى يهلك أحد الفريقين، وكانت هذه الكلمة هو الدستور الذي وصفه رسول الله لنفسه كخط سير في هذه الدعوى الجديدة حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه لقد قال له عمه يومذاك: يابن أخي: ابق علي وعلي نفسك ولا تحملني من الأمر مالا أطيق، فكان جوابه علي ذلك: يا عم والله له وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري علي أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه.

خطة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبليغ الرسالة في العلن

فبعد أن دعا رسول الله قومه إلي وليمة وبعد أن فرغ القوم من طعامهم حتى بادرهم رسول الله قائلا: الحمد لله – أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه واشهد أن لا إله إلا الله وحد لا شريك له.

أما بعد فإن الرائد لا يكذب أهله – ولو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة وإلي الناس عامة وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فقال تعالى (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) وأنا أدعوكم إلي كلمتين خفيفتين علي اللسان ثقيلتين في الميزان: شهادة أن لا إله إلا الله وإني رسول الله والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولحاسبوا بما تعملون ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا، وإنها للجنة أبدا أو النار أبدا... يابني عبد المطلب والله ما أعلم شابا جاء قومه بأفضل ما جئتكم إني جئتكم بخير الدنيا والآخرة فمن يجيبني إلي هذا الأمر- ويؤاذرني علي القيام به، ثم حدث خلاف شديد في ردود الفعل من عمه أبو طالب وأبو لهب.

رأي أعداء المصطفى فيه

1 – فبدأ برأي أعداء المصطفى – صلى الله عليه وسلم- فيه أنه الصادق الأمين وظهر ذلك عندما اختلفوا عند إعادة بناء الكعبة ودفع الحجر الأسود، وانتظر أول من يدخل عليهم وكانت سعادتهم حينما ظهر الأمين صلى الله عليه وسلم وقام بحل المشكلة وتم رفع الحجر الأسود بيده الشريفتين ويتراضى الجميع.

2 – أما رأي أبو سفيان ابن حرب زعيم قريش– فقد روي البخاري بسنده إلي عبد الله بن عباس– أن أبا سفيان ابن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه ركب من قريش كانوا تجارا بالشام، في المدة التي كان رسول الله مادا "مدة الهدنة" فيها أبو سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ "قال أبو سفيان" فقلت أنا أقربهم نسبا.

فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فأجعلوهم عند ظهره: ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه، قال أبو سفيان: فلولا الحياء من أن يأثروا علي كذباً لكذبت عنه: ثم كان أول ما سألني عنه أنه قال: كيف نسبه فبكم؟ قلت هو فينا ذو نسب.

قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا

قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا

قال: أأشراف الناس يتبعونه أم ضعفائهم؟ قلت بلا ضعفائهم.

قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون.

قال: فهل يرتد أحد منهم سخطه "كراهية" لد ينة بعد أن يدخل فيه: قلت لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت : لا

قال: فهل يغدر؟ قلت: لا

قال: فهل قاتلتموه؟ قلت : نعم

قال: فكيف كا ن قتالكم إياه؟ قلت الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه.

قال ماذا يأكرمكم؟ قلت: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة – والصدق – والعفاف والصلة.

فقال هرقل لترجمانه: قل له:

سألتك: عن نسبه فذكرت أنه ذو نسب فيكم وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا. فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت: رجل يتأسى بقول قيل قبله.

وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن: لا

قلت: فلو كان من آبائه من ملك قلت: رجل يطلب ملك أبيه.

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن: لا فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذاب علي الناس ويكذب علي الله.

وسألتك: أأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل.

وسألتك: أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى ينموا.

وسألتك: أيرتد أحد منهم سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت: لا – وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب.

وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن :لا... وكذلك الرسل لا تغدر.

وسألتك: بم يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أنه تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا – وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف – فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج– ولم أظن أنه منكم فلو أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه: ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه.

وقد ذكرنا رأي أحد أحبار أهل الكتاب "ورقة بن نوفل" في الوحي الذي أنزل علي المصطفى حين سألته السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها – زوجة رسول الله صلى الله علي وسلم- وأخبرها بأنه الناموس الذي أنزل علي موسى عليه السلام.

رأي ملك الحبشة النجاشي

فنبدأ القول برأي رسول الله –صلى الله عليه وسلم- في ملك الحبشة النجاشي حينما أمر بعض المسلمين المضطهدين في مكة بالهجرة إلي الحبشة.

وقال لهم: لو خرجتم إلي أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه، وكانت الحبشة تدين بالنصرانية – دين عيسى بن مريم عليهما السلام. وكان ملكها النجاشي نصرانيا صادق النصرانية، فخرج إلي الحبشة أحد عشر رجلا وأربع نساء فيهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وفيهم الزبير بن العوام بن عم خديجة فكان هذا الفوج أول من هاجر من المسلمين إلي أرض الحبشة، وكانت هجرتهم إليها في شهر رجب من السنة الخامسة بعد البعث فلما وصلوا إليها أكرم النجاشي مثواهم، وأحسن لقاءهم ووجدوا عنده من الطمأنينة والأمن ما لم يجدوه في وطنهم وأهلهم في مكة فشجعهم ذلك علي أن يبعثوا في طلب إخوانهم المعذبين في مكة، فأرسلوا نفرا منهم ليخبروا رسول الله بما هم فيه من حسن الجواد وطيب العيش في بلاد النجاشي ويعرضوا علي من شاء من إخوانهم المسلمين أن يهاجروا معهم، فهاجر معهم في هذه المرة عدد كبير من الصحابة حتى بلغ عدد الذين هاجروا إلي الحبشة نحو الثمانين رجلا بالإضافة إلي من كان معهم من النساء والأطفال، فأقاموا هنالك عند النجاشي في خير مقام مما أغاظ قريشا ودعاها إلي التفكير في أمر هذه الهجرة التي

وفرت للمسلمين الأمن والأمان فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ومعهما هدية إلي النجاشي وإلي إصحابة وحينما وصلا إليه.

قالا لهم: إن ناساً من سفهائن ا فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دين الملك وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد أرسلنا أشراف قومهم إلي الملك ليردهم إليهم: فإذا كلمنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يرسلهم معنا من غير أن يكلمهم، وخافا إن سمع النجاشي كلام المسلمين ألا يسلمهم وقد أشار أصحاب الملك إليه بتسليم المسلمين إليهما.

فغضب الملك من ذلك وقال: لا والله لا أسلم قوما جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني علي من سواي، حتى ادعوهم وأسألهم عما يقول هذان: فإن كانا صادقين سلمتهم إليهما وإن كانوا علي غير ما يقوله هذان منعتهم واحسنت جوارهم، ثم أرسل النجاشي إلي أصحاب النبي "المهاجرين" فدعاهم فحضروا وكان المتكلم عنهم جعفر بن أبي طالب فقال لهم النجاشي: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من الملل؟ فقال جعفر: أيها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي بالفواحش، ونسئ الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف حتى بعث الله رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا لتوحيد الله وألا نشرك به شيئا ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام، وأمرنا بصدق الحديث، وآداء الأمانة، وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وأمرنا بالصلاة والصيام، وعدد عليه أمور الإسلام ثم قال: فآمنا به وصدقناه وحرمنا ما حرم علينا وحللنا ما أحل لنا، فتعدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلي عبادة

الأوثان، فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلي بلادك واخترناك علي من سواك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك.

فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله شيء؟ قال: نعم: وتلا عليه آيات من سورة مريم فبكى النجاشي وأساقفته وقال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة...؟ انطلقا؟ فوالله لا أسلمهم اليكما أبدا فقال عمرو بن العاص للنجاشي: إن هؤلاء يقولون في عيسى ابن مريم قولا عظيما؟ فسألهم النجاشي عن قولهم في المسيح فقال جعفر: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا (هو عبد الله ورسوله – وروحه وكلمته ألقاها إلي مريم العذراء البتول" فأخذ النجاشي عودا من الأرض وقال: ما عدا عيسى ما قلت هذا العود وقال للمسلمين: اذهبوا فأنتم آمنون ... ما أحب أن يكون لي جبلا من ذهب وإنني آذيت رجلا منكم...؟ ورد هدية قريش مع وفدهم مكسوري الخاطر وطابت الإقامة للمسلمين بأرض الحبشة وظلوا بها نحو أحد عشر عاما.

وقد كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين النجاشي تراسل ومكاتبات منها ما كتبه رسول الله إلي النجاشي لكي يزوجه أم حبيبة "بنت أبو سفيان ابن حرب" وكانت فيمن هاجر إلي الحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش الذي ينصر ثم مات هناك فرأي رسول الله أن يضمها إليه لتكون في رعايته وكنفه وأن يجزيها علي ما تحملت من مشاق الهجرة في سبيل الله فزوجه النجاشي إياها وأصدقهما عنه، أربعمائة دينار.

وحين استقر أمر الدعوة بالمدينة كتب إليه رسول الله أن يبعث إليه من بقي من أصحابه ويحملهم ففعل، وحملهم في سفينتين مع عمرو بن أمية الصخري وهو رسول رسـول الله صلى الله عليه وسلم.

فحينما نتحدث ن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بد أن نذكر بعض من سيرته العطرة ونجعل من دراستها متعة روحية وعقلية وتاريخية ونجمل أبرز ما فيها من مزاياه فقط للبيان وليس للحصر.

أولا: إن حياة رسول الله –صل الله عليه وسلم- واضحة كل الوضوح في جميع مراحلها منذ زواج أبيه عبد الله ابن أبي طالب من أ مه آمنه بنت وهب ومنذ ولادته وطفولته وشبابه قبل البعثة ثم بعد البعثة والهجرة من مكة إلي المدينة المنورة.

ثانيا : أن سيرته هي أصح سيرة لتاريخ نبي مرسل أو عظيم مصلح وتم الحفاظ عليها ونقلها متواترة بطريقة علمية ثابتة وقوية الإسناد.

ثالثا: أن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحكي سيرة إنسان أكرمه الله بالرسالة فلم تخرجه عن إنسانيته ولم تلحق حياته الأساطير أو تضاف إليه صفة الألوهية.

رابعا: أن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم شاملة لكل النواحي الإنسانية في بني آدم فهي تحكي لنا سيرة محمد الشاب الصادق الأمين كما تحكي لنا سيرة رسول الله بعد البعث فهو الداعية إلي الله بالحكمة والموعظة الحسنة ويلتمس إحدى الوسائل لقبول دعوته وقد بذل أقصى ما في وسعه

وطاقته لإبلاغ الرسالة بداية من أصحابه الذين كانوا رضي الله عنهم نواة المجتمع الفاضل الذي تربى تربية مثالية وهدى علي يد المصطفى صلى الله عليه وسلم ثم سيرته في بناء الأمة الإسلامية.

وقصارى القول: إن سيرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم- شاملة لجميع النواحي الإنسانية في المجتمع مما جعله القدوة الصالحة لكل داعية وكل قائد وكل أب وكل زوج وكل صديق وكل مربي وكل سياسي وكل رئيس دولة – وكل راع أو مسئول- وكل جار.

خامسا: إن سيرة رسول الله محمد –صلى الله عليه وسلم- تعطينا الدليل الذي لا ريب فيه علي صدق رسالته ونبوته، إنها سيرة إنسان كامل سار بدعوته خطوة خطوة، من نصر إلي نصر عن طريق الإيمان بالله – واستعمال العقل والحكمة والموعظة الحسنة لا عن طريق الخوارق والمعجزات – ولكن عن طريق العقل والإقناع والبيان ولذا جعله قدوة للإنسانية كلها.

قال تعالى (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) الأحزاب آية 21..

سادسا: نسبه الشريف كما ورد عن الإمام البخاري رحمه الله: هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن حصر بن عدنان.

أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- هو المثل الأعلى للكمال الإنساني وسيرته أحسن سيرة فهو قدوة نقتدي بها وهو دليل ومرشد وهادي

يتبع خطأه أدبه ربه فأحسن تأديبه وجعله نموذجا حيا للشخصية القوية السوية التي استطاع بقوة إيمانها أن تصلح ما أفسده الدهر فقد استطاع في حياته أن يغير طباع قومه وأفكارهم وعقائدهم وأن يقوم المعوج من أخلاقهم وأن يدفعهم إلي مكارم الأخلاق عن طريق المثل الأعلى والقدوة الحسنة ولم يلجأ في سبيل ذلك إلي الوسائل التي يعجز عنها البشر والمعجزات المادية بل تذرع باستعمال الفعل والفكر والاقتناع والموعظة والوسائل الشريفة فكانت حياته صلى الله عليه وسلم درسا عمليا للذين يشقون طريقهم للإيمان هذا وقد ولد صلى الله عليه وسلم في مكة والتي تمثل قلب جزيرة العرب وهي بلاد الحجاز وهي مناطق صحراوية واسعة قليلة الماء قليلة الإنبات وأكثرها صخور ورمال وجبال وتلال، وأكثر سكانها قبائل متفرقة تعيش في الخيام تبحث عن –مساقط المطر- ومنابت العشب، وترعى الغنم والجمال أما المدن فكانت قليلة ويعيش أهلها علي التجارة في رحلة الشتاء والصيف أما مكة علي وجه الخصوص فهي بالإضافة إلي التجارة كان هناك رزق موسم الحج والذي أفاض به الله علي مناطق الحج استجابة لدعوة خليل الله – إبراهيم- عليه السلام حينما وقف بجوار جاريته هاجر وابنه إسماعيل وقبل أن يتركهم في حفظ الله وأمانه ورفع يديه إلي السماء ضارعا وهتف يدعوى الله قائلا:

(رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ) سورة إبراهيم أية 37.

فأوحى الله إلي إبراهيم أني جعلت هذا البيت حرما آمنا تأتي إليه ثمرات كل شيء وجعلت مكة بلدا حراما، لا يحل فيها القتال ولا يصاد طيرها ولا حيوانها ولا يقطع شجرها وجعلت أشهر الحج أشهر حرما، لا رفث فيها ولا فسوق ولا خصام – ولا جدال وأرسل الله إلي إبراهيم ملكا من السماء فعلمه مناسك الحج فجعل إبراهيم يعلمها للناس من ذلك الحين صار هذا البيت مثابة للناس وآمنا، يأتون إليه من مشارق الأرض ومغاربها وقد تركوا ورائهم مظاهر الجاه والمال وتجردوا من زينة الحياة الدنيا ولبسوا من الثياب أبسطها وأقلها تكلفة وأكثرها تشابها لا فرق بين غني وفقير أو عظيم ومسكين فيهدي الأغنياء من الهدى ما يشاءون ويأكل الفقراء ما يشتهون هكذا كانت صورة مكة المثلى بعد دعوة خليل الله إبراهيم واستجابة الله لدعائه وأخذ الناس يأتون من بقاع الأرض مكبرين مهللين ليشهدوا منافع لهم ثم بعد وفاة والده عبد الله وهو في طريق عودته من التجارة ثم وفاة آمنة بنت وهب عقب عودتها من زيارة أخواله من بني النجار في المدينة وعاد الطفل محمدا يتيم الأب والأم وقام جده عبد المطلب برعايته والعناية به وكان يزداد تعلقا به وحرصا عليه كلما رأي إعجاب الناس به وبما يبدو عليه من آيات السمو فقد كان صلى الله عليه وسلم طفلا يلفت الأنظار في كمال أدبه وفي سمو خلقه وخلقه وفي عزوف نفسه عن اللهو الباطل والترقي أو التهافت علي الطعام والشراب كباقي الأطفال، نعم كان في ذلك موضع الإعجاب والاهتمام من كل من يراه.

فقد نشأ يتيما في قوم غلبت عليهم الجهالة وفشا فيها الشرك وأسرفوا علي أنفسهم في الملذات والمتع:

وقالوا:(وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ) الجاثية 24 .

فكان من الطبيعي أن ينشأ كما ينشأ الطفل اليتيم، بعد أن فقد الأب – المربي والأم التي تحتضن وتعلم وتربي ولكن الله تعالت حكمته أراد له اليتم المبكر ليكون هو الذي يحوطه بعنايته ويؤدبه، ويعلمه مكارم الأخلاق ليكون نموذجا للبشر الكامل الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه – وأعده لما أراد به من الكرامة وحمل الرسالة.

وكان جده عبد المطلب يوصي جاريته التي ورثها من والده عبد الله والتي تسمى بركة أو أم أيمن، فيما بعد حيث قال لها: يا بركة لا تغفلي عن ابني فإني وجدته مع غلمان قريبا من السدرة، وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الأمة وأوصي عليه عمه أبو طالب فلما مات عبد المطلب قام عمه أبو طالب برعايته مع أبنائه جعفر وعلي وغيرهم فما هو إلا أن ضم إليه محمدا يغمره بعطفه ورعايته وأنزله بين بنيه منزلة الإكرام والإيثار. وبسط عليه حمايته منذ كان صبيا حتى صار شابا ثم صار رجلا ثم صار زوجا له زوجة وبنون وحين أكرمه الله واصطفاه برسالته وعاداه من عاداه من أهله وقومه، وقف أبو طالب دونه يحول بينه وبين أعدائه فلم يستطيع أحد أن يناله بسوء، ولقي أبو طالب في سبيل ذلك ما لاقى من معاداة واضطهاد ولكن صمد وصبر ولم يتخلى عن ابن أخيه في أي لحظة أو سلمه لأعدائه وجعل أبو طالب يحفظ رسول الله ويحوطه ويعضده وينصره إلي أن مات وحزن رسول الله عليه أشد الحزن وحاول كثيراً أن يستغفر له الله

جزاءا لما قدمه له من سند ورعاية وحماية إلي أن نزلت الآية 113 من سورة التوبة تحث رسول الله علي عدم الاستغفار للمشركين حتى لو كانوا أولي قربى.

ضرورة الدين بالنسبة للإنسان

1 – من منا لم يفكر في أحد لحظات حياته كيف خلق الإنسان الأول وكيف تخلق ذريته وما مصير الإنسان بعد الوفاة بعد أن يدفن جسده في التراب.

2 – من منا لم يفكر في هذا الكون المحيط بنا وأسراره وغموضه كيف نشأ وكيف يسير وما هدفه؟ وما هي أبعاده؟

3 – هل وجد هذا الكون بذاته أوله خالق أو وجد بالصدفة – أم بقدرة قادر؟

4 – من هذا القادر التي يتحكم ويدير الكون الضخم بهذه الدقة وما صلته بالعالم.

5 – وهذه الدنيا: هل لها نهاية ستقف عندها أو أنها مستمرة إلي مالا نهاية؟

إن هذه الأسئلة وغيرها تفرض نفسها علي كل إنسان ويشعر بحاجته الشديدة ورغبته الملحة في أن يحدد موقفه منها ويفرق وجه الحق فيها ليصنع نهاية للقلق النفسي، والتوتر العصبي، والحيرة الفكرية التي يحياها ولكي يعيش الإنسان مطمئن القلب ومستقر النفس وهادئ البال فإن الدين هو الذي يقدم الجواب الشافي لهذه الأسئلة في كتاب الله الكريم.

قال تعالى (هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ) سورة الفتح4.

وقال تعالى (ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ) الرعد 28.

أما الإجابة عن السؤال أو الخاطر الأول وهو كيف خلق الإنسان وما مصيره قال تعالى (ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ) العلق 1-2.

قال تعالى (هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ) غافر 67.

قال تعالى (أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡيِۦَ ٱلۡمَوۡتَىٰ) القيامة 37 – 40.

أما بالنسبة لخلق الكون المحيط فقد أوضح القرآن الكريم في أكثر من سورة مثل:

قال تعالى (ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ

دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ) النازعات 27-33.

قال تعالى (قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ) فصلت 9-12.

أما عن نشأة العقيدة في الإنسان فإنها قد نشأت علي الفطرة وهي التوحيد وعبادة الله وحده وذلك بعد أخذ كل نفس العهد والميثاق منذ بداية الخليقة ثم في ذرية آدم إلي يوم الدين.

قال تعالى (وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا

مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ) الأعراف 172-174.

وكذلك يجب أن لا يقلق المؤمن في السؤال عن رزقه ويعلم أن الأرزاق مقدرة بيد الله قال تعالى (وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ) هود 6.

وبعد هذه المقطتفات والأمثلة للإجابة عن الاسئلة بخصوص نشأة الإنسان ونشأة الكون وتوزيع الأرزاق والتي أوضحت أن كل شيء مقدر بيد الله – ولابد للمؤمن لكي يطمئن قلبه ليسعد في الدنيا ويفوز في الآخرة أن يرضى بقضاء الله وقدره ويحمد الله ويشكره علي نعمة ويحمد الله علي نور الإيمان الذي أجاب عما يدور بقلب المؤمنين وأنزل عليه السكينة والاطمئنان وأبعد عنه مخاطر الصراع الداخلي .

أن موضوع الدعوة أو المدعو إليه هو الإسلام، ذلك الدين الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى للعالمين والذي جاء به رسول الله سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم- ليخرج الناس من الظلمات إلي نور الحق واليقين.

قال تعالى(قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ) سورة المائدة 15-16

ومن أجل هذا أمرنا الله عز وجل أن نطبقه علي أنفسنا وندعو إليه غيرنا.. أي نأتمر بما أمر به الله وننتهي عما نهى عنه ليتحقق لنا الفلاح في الدنيا والآخرة.

والإسلام دين صالح لكل زمان ومكان وكل عصر وجيل حيث أنه يشتمل علي كل ما يحتاج إليه الإنسان في حياته من العقائد والعبادات والمعاملات ومكارم الأخلاق والمواعظ من قصص السابقين وسوف نأخذ بعض الأمثلة علي سبيل المثال.

العقائد

وعقائد جمع عقيدة – والعقيدة هي: الجانب النظري الذي يطلب الإيمان بالله أولا وقبل كل شيء إيمانا لا يرقى إليه شك ولا تؤثر فيه شبهة.

والإيمان المطلوب هو الإيمان بأن الله تعالى موجود من غير وجود يوجده، وهذا أمر يدركه الإنسان بفطرته السليمة التي خلقها الله فيه – فقد سئل أعرابي: ما الدليل علي وجود الله فقال: البعرة تدل علي البعير، وأثر الأقدام تدل علي المسير وسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج، أفلا يدل ذلك علي وجود اللطيف الخبير، وقد ذكر الإمام الرازي في تفسيره صورا من ذلك فقال: سألوا الشافعي –رضي الله عنه- ما الدليل علي وجود الله تعالى؟ فقال ورقة الفرصاد "التوت" طعمها ولونها وريحها واحد عندكم فقالوا: فتأكلها دودة القز فتخرج منها الحرير والنحل فيخرج منها العسل والشاة فيخرج منها البعر، وتأكلها الظباء فينعقد في نوافجها المسك، فمن الذي جعل هذه الأشياء كذلك مع أن الطعم واحد.

فاستحسنوا منه ذلك وأسلموا، تفسير الرازي ج1 ص314، وقد دعانا الله عز وجل إلي النظر والتفكر فيما حولنا من بديع صنعه وفي أنفسنا لأن طالب الحق إذا تأمل كتاب الكون وتدبر خلق الإنسان استقر يقينه بالإيمان بوجود الخالق عز وجل وبوحدانيته وعموم قدرته وكمال حكمته واطمأنت نفسه بعظمة الخالق:

قال تعالى (إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) سورة البقرة الآية 164.

قال تعالى (وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) الذاريات 21.

والإيمان بوجود الله تعالى يقتضي الإيمان بأنه المتصرف في ملكه كيف يشاء دون مشاركة من أحد وهو ما يسمى بتوحيد الألوهية .

قال تعالى (لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا) سورة الأنبياء الآية 22.

وقال تعالى (قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا) سورة الإسراء الآية 42.

وقال تعالى (قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ {162} لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ) سورة الأنعام الآية 162 – 163.

والإيمان بوجود الله يستلزم أن يكون وحده الحاكم فأمره الأمر ونهيه النهي فعلى المسلم أن يعتقد ويؤمن بذلك وينزه المولى سبحانه وتعالى عن كل نقص أو شائبة ويثبت له الكمال المطلق حيث أن الإسلام حرم علي المسلم الحلف بغير الله تعالى أو النذر لغير الله كما حرم تعظيم الإنسان ليكون التوجه التعظيم والحلف والنذر كله لله تعالى ومن العقائد والإيمان بالرسل وهم الذين اصطفاهم الله عز وجل وأرسلهم إلي الناس ليخرجوهم من الظلمات إلي النور ويرسمون لهم طريق الخير والسعادة فالواجب علي المسلم أن يؤمن برسل الله تعالى إجمالا وتفصيلا، ولا يفرق بين أحد من رسله.

قال تعالى (ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ) سورة البقرة 285.

ولقد فضل الله عز وجل بعض النبيين علي بعض قال تعالى (تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ) البقرة 253.

وفضل سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم- علي من سبقه من الأنبياء والرسل بأن جعل رسالته عامة ومعجزته خالدة وهي القرآن الكريم

والإيمان برسالة سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم- يقتضي طاعته والامتثال لما جاء به من أمر ونهي.

قال تعالى (مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ) النساء الآية 80.

ومن العقائد أيضا – الإيمان بالملائكة ، وهم عباد الله المكرمون المطيعون والملائكة أجسام نورانية قادرة علي التشكل بالأشكال الحسنة فمنهم حملة العرش ومنهم رسل الوحي مثل جبريل عليه السلام ومنهم الكتبة ومنهم الحفظة الموكلون بقبض الأرواح ومنهم حراس علي الجنة والنار.

ومن العقائد أيضا الإيمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وحشر وحساب وجنة ونار وجزاء وعقاب، ولا يكون الإنسان مؤمنا إلا إذا آمن بيوم القيامة وما يحدث فيه ولذلك قال –صلى الله عليه وسلم- :عندما سأل سيدنا جبريل عليه السلام عن الإيمان: "قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره"- رواه الإمام مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب في باب الإيمان.

التمهيد للهجرة لرسول الله القدوة

قام رسول الله –صلى الله عليه وسلم – وقبيل الهجرة إلي يثرب بتوقيع أول معاهدة دفاع يوقعها النبي مع بعض أعيان المدينة وهي التي شجعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم- واصحابه إلي ترك مكة وقريش إلي المدينة حيث توجد معاهدة وليس هناك اضطهاد أو مطاردة أو تعذيب وكانت هذه المعاهدات أو البيعات فاتحة خير وحافز للمسلمين المستضعفين

في مكة إلي الهجرة ليحافظوا علي أنفسهم وعلي دينهم وإسلامهم وأيضا لكي يشعرون بأن لهم كيان وليسوا منبوذين وكانت هذه المعاهدات في صورة بيعة مع قبائل المدينة القادمة لحج بيت الله.

1 - وكانت بيعة العقبة أو البيعة الأولى تشمل 12 اثنا عشر رجلا عشرة من الأوس وإثنان من الخزرج. وأرسل رسول الله –صلى الله عليه وسلم- مع هؤلاء الاثنى عشر مصعب بن عمير لكي يقرءهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقهم في الدين فكان يسمى المقرئ بالمدينة.

2 – وفي العام التالي: قدم من يثرب في موسم الحج التالي وفد إلي رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ليوقع البيعة معه علي الإسلام والدفاع المشترك وكان هذا الوفد يتألف من 75 خمسة وسبعين منهم 73 ثلاثة وسبعون رجلا + 2 امرئتان، وهو وفد مكون من قبيلتي الأوس والخزرج، وكانت هذه هي البيعة الثانية

وكان نص البيعة الأولى والثانية أيضا هي: روى ابن إسحاق عن عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم- علي ألا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف قال: فإن وفيتم فلكم الجنة – وإن غشيتم من ذلك شيئا فأخذتم بحدة في الدنيا فهو كفارة له، وإن سترتم عليه يوم القيامة فأمركم إلي الله عز وجل، إن شاء عذب وإن شاء غفر.

ثم كانت هجرة رسول الله وصحبه إلي المدينة وكان أول ما فعله هو بناء مسجد وهو بناء لكيان الإنسان المسلم يقيمون فيه الصلاة ويتفقهون في

أمور الدنيا ويجتمعون لمناقشة ودراسة مشاكلهم في الدين والدنيا بحرية وبدون أي خوف أو رقابة ثم آخى بين المهاجرين والأنصار وصالح بين الأوس والخزرج.

واصبح الجميع أخوة ولأول مرة في جزيرة العرب تحت راية واحدة هي راية الإسلام وهي راية لا إله إلا الله – محمد رسول الله.

كل هذا من نتائج وثمار بيعة العقبة الثانية – وكانت أخطر بيعة في تاريخ الدعوة الإسلامية فقد تغير خط السير فجأة وتطورت بعدها الحوادث تطورا سريعا بين المسلمين وقريش وملأ الأمل قلوب المسلمون وأيقنوا أن نصر الله قريب فجعلوا يتسابقون في الهجرة إلي يثرب فارين بدينهم مهاجرين إلي الله مضحيين بكل شيء من عرض الدنيا من أجل دين الإسلام لقد كانت هذه البيعة حدا فاصلا بين عهد ين من عهود الدعوة كان أولها عهد ابتلاء واختبار وهو العهد الذي قضاه المسلمون بمكة حيث كانوا يعيشون كقلة مستضعفة بين عدو قاهر جبار يسومونهم سوء العذاب ويذيقونهم من صنوف الأذى مالا يمكن أن يطاق ولا أن يحتمله بشر إلا أن يكون له مدد قوي من الإيمان الصادق وكأنما كان ذلك امتحانا من الله لهم ليكونوا قدوة فلما تأكد نجاحهم في الامتحان وتبين صدق إيمانهم وقوة عزمهم أدركهم عهد الجزاء والمكافأة بعد طول صبر وعناء، فاستنقذهم الله من هذا العذاب، وهيأ الله لهم المدينة الآمنة فهاجروا إليها، وشرح لهم صدر الأخوة المخلصين من أهلها، فآووهم ونصروهم وقاسموهم أموالهم وديارهم وآثروهم علي أنفسهم وفتح الله لهم أبواب رحمته فبدل خوفهم أمنا وذلهم عزاً وهوانهم كرامة ولقد من الله عليهم بهذه النعمة.

إذ يقول سبحانه وتعالى (وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ) سورة الأنفال الآية 26.

في هذه الصفحات من الكتاب عن سيرة رسول الله –صلى الله عليه وسلم أحسن قدوة تقتدى وأهدى دليل يتبع وفي سيرته صور شتى من الكمال والشجاعة والإنسانية فهو المثل الأعلى للكمال الإنساني، أدبه ربه فأحسن تأديبه وجعله نموذجا حيا للشخصية القوية السوية التي تستطيع بقوة إيمانها أن تصلح ما أفسده الدهر فقد استطاع أن يغير طباع وعقيدة قومه وأن يقيم مكارم الأخلاق وأن يدفعهم بقوة إلي طريق المثل الأعلى ولقد صدق الله حين يقول (لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ) الأحزاب 21.

وصول رسول الله وصحبه أبو بكر إلي المدينة

فقد وصل رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وصاحبه أبو بكر الصديق إلي المدينة يوم الاثنين في الثاني عشر من ربيع الأول الموافق 28 من يونيو سنة 662 من الميلاد وأنه قد توجه إلي قباء وأقام في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ثم خرج في ضحى يوم الجمعة إلي المدينة وكان أول عمل قام به في قباء هو تأسيس أول مسجد في الإسلام وقد عمل فيه رسول الله –صلى الله عليه وسلم بيده وشارك أصحابه وقال كثير من المفسرين:

إن هذا المسجد نزل فيه قول الله تعالى: (لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ) سورة التوبة 108.

وكان يوم دخول رسول الله – صلى الله عليه وسلم- إلي المدينة يوما حافلا، لم تر المدينة يوما أشد فرحا وابتهاجا منه ولبس الناس أحسن ملابسهم كأنهم في يوم عيد – فالنساء علي سطوح المنازل – والصبيان يصيحون في فرح وابتهاج جاء رسول الله ... جاء رسو الله، والجواري يضربن بالدفوف وينشدن ويغنين وجاء في الصحيحين عن أبي بكر قال: وخرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق وعلي البيوت والغلمان والخدم يقولون: الله أكبر جاء رسول الله – الله أكبر جاء محمد الله أكبر الله أكبر جاء رسول الله، وروت عائشة أن النساء والصبيان والولدان يقلن طلع البدر علينا- من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع، أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع، جئت شرفت المدينة مرحبا يا خير داع.

ثم ركب رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ناقته القصواء في موكب حافل يحيط به المسلمين من كل جانب مشاة وركبانا، وتحلوا بأحسن ملابسهم، ورحب به بيوت الأنصار جميعا ولكن رسول الله أشار إليهم وهو شاكرا مبتسما بأن يخلوا سبيل ناقته حيث قال: خلوا سبيلها فإنها مأمورة.

فلما وصل – صلى الله عليه وسلم- إلي دار بني سالم بن عوف أدركته صلاة الجمعة فصلاها هنالك بمن كان معه من المسلمين، فكانت أول

جمعة أقامها في الإسلام وكانت أول خطبة خطبها أن قام فيهم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال "أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم تعلمن – والله ليصعق أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع – ليقولن له دبه – ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولي فبلغك وآتيتك مالا وأفضلت عليك؟ فما قدمت لنفسك؟ فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ثم ينظرن أمامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة فإن بها تجزي الحسنة عشر أمثالها إلي سبعمائة ضعف، والسلام عليكم وعلي رسول الله ورحمة الله وبركاته.

ثم ركب صلى الله عليه وسلم ناقته فمازالت تسير حتى بركت به في مكان مسجده.

وكان لغلامين يتيمين من بني النجار – بجوار دار أبي أيوب الأنصاري فنزل عنها رسول الله وقال: (﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ) سورة المؤمنون 29.

وكانت الحفاوة التي استقبل بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم- في المدينة في مظهر جديد علي المهاجرين من المسمين- يختلف كل الاختلاف عن المظهر الذي كانوا يرونه في مكة فبمقدار ما كان من البغض والاستهانة في مكة، كان الحب والإكبار والترحيب في المدينة ومن هنا وفي هذا المسجد كانت الصلاة – وهي عماد الدين وهي أول مظاهر التدين وأقوى وسائل الاتصال بين العبد وربه خاشعا داعيا مناجيا ومستهديا فالإنسان

بطبيعته ضعيف ولا يستطيع وحده أن يقاوم عناصر الشر وهي كثيرة وجذابة فإذا لجأ إلي ربه ووقف متضرعا يستمد منه الحول والحول والقوة – وجد منه العون والحماية وانهزمت له عناصر الشر مهما كثرت، وكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم- إذا حز به أمر فزع إلي الصلاة.

قال تعالى (وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ) البقرة 45.

قال تعالى(ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) العنكبوت 45.

والصلاة لقاء محبة وأنس بين العبد وربه – يفرح به المؤمن الصادق كما يفرح الحبيب بلقاء الحبيب – وهي تزكية للنفس وتطهير مستمر لها، وطهارة جسدية أيضا.

ولعل هذا هو تفسير قول رسول الله –صلى الله عليه وسلم- "جعلت قرة عيني في الصلاة" فكان يقول لبلال رضي الله عنه "أرحنا بالصلاة يا بلال".

وهكذا أخذ رسول الله –صلى الله عليه وسلم- يصنع قواعد المجتمع المثالي الصالح الذي يسوده السلام والحب والوئام – ويُعدَّ له الفرد المثالي الصالح الذي يقيم صلته بالله علي الإخلاص في عبادته والعمل علي مرضاته، ويقيم صلته بالناس علي التعاون الصادق وحب الخير ويعاملهم

جميعا علي أنهم إخوة، فمن وافقه في عقيدة الإسلام فهو أخوه في الله – ومن خالفه فهو أخوه في الإنسانية.

مع العلم أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- قد قضى في مكة ثلاثة عشر عاما يدعو إلي الله فلم يؤمن به في هذه الحقبة الطويلة إلا نحو 300 ثلاثمائة مسلم ثم أذن لهم الله بالقتال للدفاع عن النفس، ولكن المبدأ العام في قتال المسلمين يعتمد علي قول الله تعالى (فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ) سورة البقرة 194،

وإن تكون الرغبة في السلم هي الأساس إذا جنح العدو للسلم حتى لو كان خداعا قال تعالى (وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦١ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُ) الأنفال 61.

وهكذا تعددت الأساليب في القرآن وتنوعت لتأكيد معنى القتال للدفاع عن النفس إذن فلم تكن القوة وسيلة من وسائل الإسلام لإكراه الناس علي اعتناقه إنما كانت القوة لمدافعة أهل القوة ولتأديب أهل البغي والعدوان.

الغزوات

غزوة بدر الكبرى

وقد خرج رسول الله –صلى الله عليه وسلم- يوم السبت الاثنى عشر من رمضان ومعه ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار وتجمع الفريقين بوادي بدر وقد أراد الله أن تجري المعركة علي هذا النحو بين الكثرة المشركة والقلة المؤمنة لتكون فرقانا بين تصورين وتقديرين لأسباب النصر والهزيمة فننصر العقيدة القوية الصالحة، علي السلاح والعتاد والغرور والشرك وكثرة الدعاية.

قال تعالى (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ) القصص 5،6.

وكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم- في عريشة يتابع المعركة وقلبه متعلق بالله عز وجل فتارة ينزل إلي المعركة فينهض الهمم ويحث علي القتال وتارة يصعد إلي العريش يدعو ربه ويستغيثه ويستنجزه وعده له بالنصر ويقول فيما يقول: اللهم أنشدك عهدك ووعدك- اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعيد بعدها في الأرض اللهم نصرك الذي وعدتني – اللهم أرعب قلوبهم- وزلزل أقدامهم- وقال له أبو بكر رضي الله عنه يانبي الله حسبك مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك، واستغرق رسول الله –صلى الله عليه وسلم- في دعائه حتى خفقه النعاس ثم أفاق مستبشرا يقول لأبي بكر:

أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده علي ثنايا النقع، "غبار المعركة" وانجلت المعركة في عصر يوم 17 رمضان عن 70 قتيلا و 70 أسيراً للمشركين.

آثار غزوة بدر الكبرى

كانت غزوة بدر عميقة الأثر في نفوس المسلمين وفي نفوس أعدائهم من المشركين والمنافقين وأهل الكتاب، وكان لانتصار المسلمين فيها دوي بعيد المدى في نواحي الجزيرة العربية:

1 – فأما المسلمون في المدينة فقد اشتدت سواعدهم وقويت شوكتهم وإزداد يقينهم بأن الله معهم، فأصبحوا لا يبالون بقوة أعدائهم ولا يخشون أحدا إلا الله.

2 – وأما المشركون من أهل المدينة فقد رأي أكثرهم أن محمدا وأصحابه أصبحوا قوة يحسب حسابها وأن المستقبل قد يكون لهم فأخذوا يعيدوا النظر في مواقفهم.

3 – أما اليهود فقد حز في نفوسهم أن ينتصر المسلمون وتقوى شوكتهم في المدينة وأن يعز الإسلام ويظهر علي دينهم ومكانتهم.

4 – أما قريش فقد قتل أبو جهل في المعركة ومات أبو لهب من الحسرة بعد 7 أيام وقام أبو سفيان بعد الهزيمة بنحو شهرين ونصف ومعه 200 راكب حتى أصبحوا علي بعد ثلاثة أميال من المدينة فعلم رسول الله وخرج له بـ 200 رجل ولكن أبا سفيان خشى من المواجهة – وعاد إلي

مكة بعار الهروب بعد أن عانى من عار الهزيمة قبل شهرين ونصف- وكان فاجعة لقريش.

الدروس المستفادة من غزوة أحد

التجربة القاسية والابتلاء الذي منى به المسلمين في هزيمة أحد لم تكن شراً يراد بهم: إنما كانت محنة أراد الله بها تمحيص المؤمنين المخلصين، وكشف النقاب عن المنافقين المخادعين وفرصة هيأها الله للمؤمن للفوز بالشهادة

قال تعالى (وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ)آل عمران 139-142.

علي أن أولئك الشهداء لم يموتوا كما يظن الذين لا يفهمون معنى الموت ولا يدركون من الحياة إلا مظاهرها الدنيا- إنما الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويتمنون أن يعودوا إلي الدنيا ليقتلوا في سبيل الله مرة آخرى، وقد روي الإمام أحمد عن ابن عباس قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم- لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم في

أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، وتأوى إلي قناديل من الذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقبلهم قالوا: ياليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يوهنوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب: فقال الله تعالى (أنا أبلغهم عنكم) وأنزل الله تعالى الآيات.

وقال تعالى (وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ) سورة آل عمران 169 حتى 171.

آثار أحد

1 – كان من الطبيعي أن يحزن المسلمون لما أصابهم في أحد رغم كثرتهم.

2 – وكان من الطبيعي أن يشمت أعداء المسلمين في المدينة وما حولها وقريش والأعراب.

3 – أكثر اليهود والمنافقون القول في رسول الله وفي المسلمين حتى فارت المدينة وأوشك الأمر أن يكون فتنة فخشى رسول الله –صلى الله عليه وسلم- علي المسلمين أن يتملكهم الوهن والضعف فتنتزع مكانة الإسلام في المدينة وما حولها، وتطمع قريش ومن أجل ذلك رأي رسول الله –صلى الله عليه وسلم- أنه لا بد من عمل سريع يزيل أثر

الوهن من قلوب أصحابه ومن علاج حاسم يعيد إلي المسلمين ثقتهم بأنفسهم ويستردون ما فقدوه من الهيبة في نفوس أعدائهم، فعزم علي أن يخرج بأصحابه في أثر قريش وكان ذلك بعد أيام قليلة من هزيمة أحد التي بدأت في أوائل شهر شوال قال ابن إسحق: فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة من شوال 16 أذن مؤذن رسول الله في الناس بطلب العدو – فأذن مؤذنه ألا يخرجن معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس: مما جعل الناس يسارعون إلي أسلحتهم فلبسوها ثم توافدوا علي المسجد فيجتمعون فيه.

وكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه في النهار بجمع الحطب فإذا جاء الليل أمر أن يوقد كل رجل منهم ناراً، فكانت النيران ترى من بعيد وقد ملأت الأرجاء بأضوائها وخدعت الأعداء بنورها حتى خيل للناس أن المسلمين قد حشدوا ألوف مؤلفة – وأن أعدادهم لا تحصى ولا تعد- فأدخل الرعب في قلوب أعدائهم- فما أدى إلي انصراف قريش إلي مكة وظل المسلمون في معسكرهم ثلاث ليالي ثم عادوا إلي المدينة ليدخلوها مرة أخرى مرفوعي الرأس.

الدروس المستفادة من غزوة الأحزاب "الخندق

في البداية وبعد أن خرج نفر من اليهود إلي غطفان ودعوهم إلي حرب رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وأعلموهم أن قريشا قد بايعتهم علي ذلك ووعدوا رجال غطفان أن يعطوهم ثمار خيبر من النخيل محصول سنة، إذا تم لهم النصر علي محمد- فاستجابت لهم غطفان وهكذا جعلوا يحرضون

الأحزاب حتى اجتمع لهم- من قريش وغطفان وأسد وسليم ومن تابعهم من قبائل العرب نحو عشرة آلاف مقاتل تحت إمرة أبي سفيان ابن حرب وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة.

فلما علم رسول الله نبأ هذا الجيش جمع أصحابه فشاورهم فيما ينبغي أن يعمل فقال سلمان الفارسي: يارسول الله إن كنا بأرض فارس إذا خفنا العدو خندقنا عليه، فأعجبت المسلمين بفكرة الخندق وتم عملها، وتركوا الجنوب الشرقي تحت تأمين بني قريظة الذي تم التعاهد معهم علي الدفاع المشترك مع المسلمين.

وتم عمل الخندق واستمر الحال علي هذا النحو لمدة 30 ثلاثين يوما مع البرد الشديد وهكذا وقف الفريقان أمام الخندق وجها لوجه، المسلمون في قلة عددهم وضعف عدتهم والمشركون في كثرة عددهم وعدتهم ولكن الفرق يكمن في قوة الإيمان وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويقول: اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك: اللهم إنك إن تشاء لا تعبد اللهم ادفع عنا شرهم وانصرنا عليهم لا يغلبهم غيرك، وجاء المسلمون إلي رسول الله يسألونه هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر، فقال: نعم قولوا "اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا"

وفي أثنا ذلك الوقت الذي توترت فيه الأعصاب وسئمت النفوس من طول البلاء أرسل الله عليهم الريح ليلة شاتية شديدة البرد حالكة الظلام فصارت تكفا قدورهم وتطرح آنيتهم وتطفي نيرانهم وتزيل خيامهم وتذيع في قلوبهم الرعب والفزع فخافوا أن يهاجمهم المسلمون في تلك الفرصة فعقدو

عزمهم علي الرحيل وحين نظر المسلمون في إشراقة الصباح فلم يجدوا أحد من جموع العدو الحاشدة فأيقنوا أنهم مؤيدون بعناية الله ورعايته وأن الله ناصرهم علي عدوهم ونظر رسول الله –صلى الله عليه وسلم- إلي أصحابه نظرة يملؤها الأمل والثقة بالله وقال "الآن نغزوهم ولا يغزوننا" ثم هتف وهتف وراءه أصحابه، لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده فلا شيء بعده" فلم تكن غزوة الأحزاب هذه معركة ميدان بل كانت معركة أعصاب، وامتحان عزائم واختبار قلوب ومن أجل هذا نجح المؤمنون وأخفق المنافقون.

فلما نجحوا في الامتحان بهذا النجاح الباهر مد الله اليهم يده الرحيمة بالعون والنصر قال تعالى (وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا) الأحزاب الآيات 22-25والآية 9 (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ).

غزوة بني قريظة

ليس هناك من شك في أن العناية الإلهية هي التي أنقذت المسلمين في غزوة الأحزاب وأنه لولا العناية الإلهية لكان فناء المسلمين أمرا واقعا لا محالة وكان مصير الدعوة الإسلامية في خطر داهم، وهذا ما كان يخشاه رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وهو يدعو ربه مستغيثا به إذ قال "اللهم إنك إن تشأ لا تعبد" نعم فلو شاء الله أن ينهزم المسلمون في هذه الغزوة لانتهى أمر الإسلام إلي الزوال بعد فناء هذه الفئة القليلة التي كانت توحد الله وتقيم دينه في الأرض وليس من شك في أن غدر بني قريظة، والذي كان سببا في فتح الثغرة الوحيدة في دفاع المسلمين وكانت هي السبيل الوحيد للمشركين للانقضاض علي المسلمين من الخلف ولكن المسلمين كانوا من اليقظة والتمكن بحيث استطاعوا أن يسدوا عليهم كل ثغرة فهو نصر من عند الله فحاصرهم الرسول – صلى الله عليه وسلم بجيش المسلمين 25 خمسا وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب فأرسلوا إلي رسول الله أن يخرجوا بنسائهم وأبنائهم وما حملت الإبل من أموالهم كما خرجت بنو النضير فأبى عليهم ذلك فأرسلوا إليه أن يخرجوا بنسائهم وأبنائهم بلا مال ولا سلاح فأبى رسول الله – صلى الله عليه وسلم- إلا أن ينزلوا علي حكمة فأشار عليهم زعيمهم كعب ابن أسد أن يدخلوا في الإسلام وذكرهم بما عندهم من العلم بنبوة محمد، فلم يقبلوا رأيه: فأشار عليهم أن يقتلوا أبناءهم ونساءهم ثم يخرجوا فيقاتلوا حتى يقتلوا أو يظفروا فأبوا ذلك فأشار عليهم أن يخرجوا ليلة السبت والمسلمون آمنون في بيوتهم، فقالوا: "لا نحل السبت، واختلفوا وندموا علي ما صنعوا" وبعد محادثات ومناقشات فإن بني قريظة

قد نزلوا علي حكم سول الله –صلى الله عليه وسلم- وقال لهم رسول الله- أن اختاروا من يشاء بأن يحكم عليهم فاختار اليهود سعد ابن معاذ سيد الأوس وهو من حلفائهم من قبل الإسلام فقال لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- "أحكم ياسعد" فقال: الله ورسوله أحق بالحكم" قال رسول الله: قد أمرك الله أن تحكم فيهم، فالتفت سعد إلي ناحية المسلمين فقال: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن أحكم فيهم بما حكمت؟ قالوا نعم: قال وعلي وأشار إلي الناحية التي فيها رسول الله وهو خافض الطرف إجلالا لرسول الله –صلى الله عليه وسلم- فقال رسول الله "نعم" ثم قال سعد لبني قريظة: أترضون بحكمي؟ قالوا "نعم" فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه أن الحكم ما حكم به، ثم قال: فإني أحكم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال، ونسبى الذراري والنساء.. فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: "لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات".

وغدا رسول الله إلي سوق المدينة فخندق فيها خندق، ثم دعا برجال بني قريظة فكانوا يخرجون أسالا- فتضرب أعناقهم ويطرحون في تلك الخنادق.

ولم يؤمن من بني قريظة إلا ثلاثة رجال فأمنهم رسول الله علي أنفسهم وأهليهم وأموالهم وكانت كلمة حي بن أخطب قبل ضرب عنقه قال أمام الناس كلمته المشهورة في التاريخ قال: ايها الناس، إنه لا بأس بأمر الله – كتاب وقدر- وملحمة كتبها الله علي بني إسرائيل" ثم جلس فضربت عنقه جزاءا لغدره وخيانته، وفي هزيمة بني قريظة.

قال تعالى (وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا) سورة الأحزاب الآيتان 26 ، 27.

صلح الحديبية

في السنة السادسة من الهجرة رأي رسول الله في منامه ذات ليلة أنه دخل المسجد الحرام في أصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين لا يخافون عدوا يصدهم ولا مانعا يمنعهم فاستبشر بذلك وقص ما رأي علي أصحابه فاستبشروا وفرحوا وأدركوا أنها حقيقة واقعة فإن رؤيا الأنبياء حق، وإلهام من الله لهم بما سيكون من قابل أمرهم، فحركت هذه الرؤيا كوامن الشوق والحنين في نفوسهم، وعزم رسول الله –صلى الله عليه وسلم- إلي زيارة البيت الحرام وكانت الفرصة مواتية والظروف كلها مهيأة لهذه الزيارة، فالأمن في المدينة قد استتب بعد خلوها من اليهود والأعراب في البادية قد أمنت جوانبهم بعد رهبة الإسلام التي قد تملكت قلوبهم وزلزلت نفوسهم بعد الانتصارات المتتالية للمسلمين فخرج رسول الله –صلى الله عليه وسلم- بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من العرب وساق معه الهدى 70 سبعين بدنه وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه وذلك أول ذو العقدة في السنة السادسة من الهجرة ومعه 1500 ألف وخمسمائة لا يحملون من السلاح غير السيوف في أغمادها للدفاع الشخصي وسار حتى وصل إلي

ذي الحليقة علي نحو ستة أميال من المدينة فصلى الظهر، ثم دعا بالبدن فجللها وأشعرها وقلدها القلائد، وكذلك فعل أصحابه ثم أحرموا بالعمرة واتجهوا نحو مكة محرمين يتجاوبون بالتلبية "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك" ودخلوا مكة بهذا المظهر الجميل المسالم ليؤدوا مناسكهم أما قريش فقد أخذتها حمية الجاهلية حين بلغها أمر هذه المسيرة وصممت علي ألا يدخل محمد عليها مكة مهما كان الأمر، وأخذت تعد عدتها للحرب وأرسلت خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل في 200 مائتي فارس ليعترضوا طريق المسلمين عند مدخل مكة ويمنعوهم بالقوة ولكن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- لم يكن راغبا قط في قتال فقد أمر بتغيير خط سيرهم وسلكوا طريقا وعرا كله مشقة علي المسلمين حتى وصلوا إلي مهبط الحديبية من أسفل مكة وصار منها علي مسيرة يوم واحد حيث بركت القصواء "ناقة الرسول" فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حسبها حابس الفيل عن مكة: والذي نفس محمد بيده لا تدعوني قريش اليوم إلي خطة يسألونني فيها صلة الرحم وتعظيم حرمات الله، إلا أعطيتهم إياها، ثم أمر الناس أن ينزلوا حيث كانوا وبدأت المفاوضات المطولة والشاقة والمد والجزر حتى أنهم أساءوا معاملة رسول رسول الله عثمان ابن عفان – وحدث بعد ذلك ما قام به المسلمون الذي لا يحملون سلاحا بأن يأخذون البيعة لرسول الله للقتال والدفاع عن الكرامة والشرف الإسلامي حتى الموت وسميت ببيعة الرضوان، رغم أنهم لا يحملون غير السيوف وقال القرآن فيهم.

قال تعالى (لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) سورة الفتح آية 18 ، 19.

ولعل قريشا قدرت كل هذا وقدرت أنها بقتالها محمدا ستحل البيت الحرام والشهر الحرام وستسن بذلك سنة سيئة قد لا يعود عليها إلا وبالا وفقدان الهيبة.، فأرسلت سهيل بن عمرو في نفر من رجالها لكي يفاوضون محمدا في الصلح علي أن يرجع عن قريش عامة هذا إبقاء علي سمعتها وهيبتها وكرامتها بين العرب.

وتم الاتفاق علي أن يتهادن الفريقان لمدة عشر سنوات وأن يؤجل المسلمون عمرتهم إلي العام المقبل وأن يردوا إلي قريش من جاءهم منهم ولا ترد قريش إليهم من جاءها منهم، وأن تكون التالفات مع الآخرين حرة للطرفين".

وقد تشدد سهل بن عمرو في صياغة العقد وتساهل رسول الله فهو رؤوف رحيم قال ابن إسحاق: ثم دعا رسول الله علي بن أبي طالب فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: اكتب: باسمك اللهم، فكتبها، ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك قال، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله

–سهيل بن عمرو: "اصطلحا علي وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض علي أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه وأن بيننا عيبة مكفوفة وأنه لا إسلاك ولا إغلال وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهده دخل فيه، وأنك تخرج عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة – وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك، فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثا معك سلاك الراكب: السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها".

فلما فرغ من الكتاب أشهد علي الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين، واقام رسول الله –صلى الله عليه وسلم- بالحديبية بضعة عشر يوما ثم انصرف راجعا إلي المدينة وفيما هو في الطريق أنزل الله تعالى عليه سورة "الفتح" فأقبل الناس يسرعون حتى اجتمعوا إليه فقرأ عليهم قوله تعالى (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا) فقال عمر: أوفتح هو يا رسول الله؟

قال "نعم" والذي نفسي بيده إنه لفتح" لأنه أصبح تعامل الند للند وهكذا رجع المسلمون من الحديبية وقد اطمأنت قلوبهم وايقنوا أن الله أراد بهم الخير فيما أراد لهم من أمر هذا الصلح، ولكنهم كانوا يتعجلون نتائج هذا الخبر والفتح وهكذا آخذ رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يكاتب الأمم في اشخاص ملوكها يدعوهم الإسلام ليخرجهم من الظلمات إلي النور.

واتخذ رسول الله لنفسه خاتما من فضة نقشه علي اسمه حيث كتب عليه (محمد رسول الله). ثم كتب لكل ملك كتابا يدعوه فيه إلي الإيمان بالله وحده لا شريك له.

ويذكره بأن السلامة والسعادة في الإيمان بالله وحده ويكلفه أن يبلغ هذه الدعوة إلي أمته ، ويقول له أسلم تسلم – فإن تولى فعليه إثم نفسه وإثم من ورائه من الناس فأرسل إلي قيصر ملك الروم وكسرى ملك الفرس – والنجاشي ملك الحبشة – والمقوقس عظيم القبط والحارث الفساني ملك تخوم الشام.

لم يقف المسلمون من رسول الله موقفا قط كان أشبه بموقفهم منه في صلح الحديبية ولم يعارضوا شيئا من أعماله قط كما عارضوا ذلك الصلح ولم يقف رسول الله منهم موقفا قط كان أغيظ لهم وأشد عليهم من ذلك الموقف فقد أمضى الصلح علي رغمهم ولأول مرة حيث قابل تشدد قريش وعنادها بمنتهى التساهل والملاينة.

ولم يكن له أن يشاور أصحابه أو يستجيب لعواطفهم وقد صدر الأمر إليه من العليم الحكيم وقد تسامح مع رسولهم غاية التسامح وتقبل بصدر رحب كل ما بدا منه من صلابة وعناد ولم يلق بالا إلي ما كان من أصحابه من حمية وغضب، ومضى في القضية يعالجها بحكمته وسياسته وكأنما كان –صلى الله عليه وسلم- ينظر بعين الغيب إلي ما وراء الصلح من خير كثير للمسلمين ولقد آتى هذا الصلح ثمراته بأسرع مما كان ينتظر المسلمون، وكانت من ثمراته الطبية مباركة من السماء.

قال تبارك وتعالى (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا) سورة الفتح 1-3.

وكان من ثمرات هذا الصلح أن وضعت الحرب أوزارها بين المسلمين وقريش وكانت قريش هي العقبة الكبرى في طريق الإسلام منذ ظهوره وكانت عداوتها أصل البلاء ومنبع الشر نظرا لموقع قريش بين العرب من حبت الزعامة الدينية والتجارة بين القبائل.

فلما تم الصلح بينها وبين المسلمين خمدت جذور لهب الحروب وانطفأ ما يغذيها من الشرار، وها هي قريش بعد كبريائها وعنادها وجحودها تجنح إلي السلم وتعترف بمحمد كند قوي بعد أن أنكرته وأصبحت ترسل إليه رسولها ليفاوضه في أمر الصلح – فقد كانت فرصة ثمينة ينبغي ألا تضيع فأمضى رسول الله –صلى الله عليه وسلم- الصلح بينه وبين قريش ولم يعبأ بما هنالك من غضب الأصحاب أو جهالة الأعداء: فضرب بذلك أروع الأمثال في الحكمة والسياسة وقوة البصيرة ودقة النظر في العواقب،

وكان من ثمرات الصلح السريعة هو فتح الأبواب أمام الدعوة لكي تخرج من المدينة وتنتشر بين العرب في البادية والحاضرة بدون قيود أو عقبات.

وكذلك أخذ رسول الله –صلى الله عليه وسلم- يعمل علي نشر الإسلام في الممالك والأقطار التي تحيط ببلاد العرب فكتب إلي ملوكها وأمرائها بدعوهم إلا الإسلام.

وكان من ثمرات هذا الصلح أن اعترفت قريش بحق المسلمين في زيارة البيت دون قتال ولم يمض عامان علي صلح الحديبية حتى دخل رسول الله مكة في عشرة آلاف بعد أن كان جيشه يوم الحديبية لا يزيد عن

ألف وستمائة حيث أن المعاهدة ساهمت في كف أيدي الطرفين عن الحروب وصد المسلمين عن الوصول والهدي للمسجد الحرام.

قال تعالى (وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا) سورة الفتح الآية 24-27.

وهكذا مرت الأيام تبين بعد نظر الرسول –صلى الله عليه وسلم- وحسن سياسته وصواب رأيه واقتنع أصحابه بأنهم كانوا متعجلين حين كرهوا ذلك الصلح.

وهاهو أبو بكر الصديق –رضي الله عنه- يقول: ما كان فتح أعظم في الإسلام من فتح الحديبية ولكن الناس يومئذ قصرٍ رايهم عما كان بين محمد وربه والعباد يعجلون والله لا يعجل كعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد وخلق الإنسان عجولا" فمن كان يتخيل أن سهيل بن عمرو في حجة الوداع وهو قائما عن النحر يقرب إلي رسول الله بدنه.

ورسول الله –صلى الله عليه وسلم ينحرها بيده ودعا الحلاق فحلق رأسه فانظر إلي سهيل يلقط من شعره وأراه يضعه علي عينيه وأذكر إباءه أن يقر يوم الحديبية بأن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم وإباءه أن يكتب أن محمداً رسول الله؟ فحمدت الله الذي هداه للإسلام فصلوات الله الذي هداه للإسلام وسلام علي نبي الرحمة الذي هدانا لهذا، وكذلك تتابعت الحوادث والغزوات والتي أثبت حكمة النبي وبعد نظره، ودقة سياسته حيث إنه يتوقيع عهد أو صلح الحديبية قد وضع حجر الأساس القوي لانتشار الإسلام وفتحة علي خارج المدينة ثم الانتشار خارج مناطق النفوذ العربية من أمارات وممالك.

فتح مكة

كانت مكة أم القرى ومعقل الوثنية في جزيرة العرب كلها، وكانت الكعبة مجمع الأصنام وقبلة الأنظار ومطمع آمال القبائل وكانت قريش حارسة الكعبة وسادنة البيت وإليها الرياسة والقيادة في أمور الدين، فهي في منزلة السيادة بالنسبة للعرب، وكان صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش في أواخر السنة السادسة من الهجرة أول مفاتيح هذا المعقل الحصين، فقد اعترفت قريش في ذلك الصلح بأن محمدا صاحب مذهب جديد وأقامت معه اتفاقية وتعهد بينها وبينه وتعاملت معه معاملة الند للند.

1 - فكان الصلح هو أول مفتاح فتح الله به الأبواب المغلقة لمكة.

2 – ثم كانت عمرة القضاء بعد ذلك بعام هي المفتاح الثاني من مفاتيح ذلك الحصن فقد كان مظهر المسلمين في هذه العمرة، وهم في توادهم وتراحمهم وفي تالفهم وتضامنهم وفي حسن انقيادهم ودقة نظامهم، وفي صدق محبتهم وإخلاصهم لرسولهم، وفي عظيم حماستهم لدينهم وشدة تمسكهم بآدابه، وفي بالغ تقديسهم للبيت وتعظيم حرماته وفي كل ما كانوا يؤدنه من شعائر العمرة، فكان مظهر المسلمين في كل هذا مظهر هز نفوس أهل مكة هزا عنيفا ولمس مكان العقيدة في قلوبهم فزلزلها زلزالا شديداً وأخذوا ينظرون إلي المسلمين نظرة الإعجاب والإكبار ثم دخلوا في مرحلة التفكر والتدبر في الإسلام وجعلوا يقارنون بين هذا الدين وما هم عليه من دين الأجداد وتقيده بعبادة الأوثان.

3 – نعم فقد وجدوا فرقا شاسعا فيما هم عليه وما عليه محمد وأتباعه فلانت قلوبهم.

4 – ثم أراد الله بعد ذلك أن يفك كل ما بقي من إغلاق هذا الحصن فبعد صلح الحديبية دخلت خزاعة في عهد رسول الله ودخلت بكر في عهد مع قريش ثم حدث أن رجلا من قبيلة بكر وقف ذات يوم يهجو رسول الله علي مسمع من رجل من خزاعة فقام إليه الخزاعي فضربه فأخذت قبيلة بكر تعد عدتها للانتقام من خزاعة، وطبقا للمعاهدة أعانتهم قريش.

5 – هاجم رجال من بكر – رجال من خزاعة، وقتلوا منهم نحو عشرين رجلا داخل الحرم المكي فاستنصرت خزاعة رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وارسلوا زعيمهم عمرو بن سالم قال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم- :نصرت يا عمرو بن سالم .. ووجد النبي أن الفرصة بذلك قد تهيأت لفتح مكة فأخذ يعد عدته لهذا الفتح.

6 – أوفدت قريشا إلي المدينة زعيمها أبا سفيان بن حرب لعله يستطيع أن يتلاشي نتائج هذه الكارثة، وكان أبو سفيان يحس خطورة الأمر الذي هو مقدم عليه فلم يشأ أن يذهب توا إلي رسول الله حتى يمهد الطريق للقائه فدخل علي ابنته أم حبيبة زوج رسول الله ليتشفع بها عند رسول الله، فلما أراد أن يجلس علي فراش رسول الله طوته عنه أم حبيبة فعجب أبو سفيان لم رأي من فعل ابنته وقال لها: يا بنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني: فأجابته ابنته في صراحة، تقول: بل هو فراش رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس علي فراش رسول الله – صلى الله عليه وسلم- فكانت صدمة شديدة الوقع علي نفس أبي سفيان لم يكن يتوقعها من أقرب الناس إليه- فلم يملك إلا أن قال لابنته "والله لقد أصابك

بعدي يا بنية شر" ثم خرج وتكلم مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليه الرسول – فخرج من المسجد يعاني من الانكسار والخجل بعد استنصار قبيلة خزاعة برسول الله – صلى الله عليه وسلم- لنصرتهم بعد غدر قبيلة بكر بهم ومعاونة قريش لهم.

واستغاثة زعيم خزاعة: عمرو بن سالم: برسول الله – وأرسل له استغاثة في صورة قصيدة شعرية، معتمدا علي العهد الذي أخذته القبيلة مع الرسول فقال له رسول الله –صلى الله عليه وسلم- :نصرت يا عمرو بن سالم، ووجد أنها الفرصة التي تهيأت لفتح مكة فأخذ يعد العدة لهذا الفتح.

وأخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالتجهيز لفتح مكة فأرسل إلي أهل البادية ومن حوله من الأعراف أن يحضروا رمضان بالمدينة فأخذت القبائل تتوافد علي المدينة وتعسكر بأرياضها، وأخفى مقصده علي الناس ووضع علي أفواه الطرق والأنقاب حراسا يراقبونها فلا يدعون أحدا يمر بهم ينكرونه إلا ردوه، فلما اجتمع الناس واحتشدوا أعلمهم أنه مسافر إلي مكة وأمرهم بالجد والتهيؤ لذلك، ودعا الله أن يأخذ العيون والأخبار علي قريش حتى يبغتها في بلادها، وخرج في نحو عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وممن وفد من قبائل العرب إلي المدينة وسار هذا الجيش العظيم قاطعا الصحراء فلما كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ببعض الطريق لقيه العباس بن عبد المطلب مهاجراً بعياله إلي المدينة فكان هذا اللقاء مصادفة مباركة حقن الله بها الدماء ويسر الأمور فقد بعث العباس بأهله إلي المدينة ورجع مع جيش رسول الله – صلى الله عليه وسلم- إلي مكة فلما صار الجيش علي مقربة منها وكان الوقت عشيا فأمر رسول الله بأن يوقدوا النيران جميعا فأوقدوا عشرة آلاف نار فظهر ضوؤها يسطع في ظلام الصحراء حتى جعل ليلها نهاراً فزع ذلك العباس وخشى علي أهل مكة نتائج هذه

المفاجأة الخطيرة، وقال والله لئن دخل رسول الله مكة عنوة إنه لهلاك قريش إلي آخر الدهر، ثم خرج العباس علي بغلة رسول الله ليبلغ مكة لكي يستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة ولكن قضاء الله وقدره أن خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار حيث قال أبو سفيان "ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا" فعرف العباس صوته وقال له، ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله – صلى الله عليه وسلم- في الناس: واصباح قريش والله، قال أبو سفيان فما الحيلة فداك أبي وأمي قلت لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله فاستأمنه لك، وحدث ما حدث أثناء مروره في وسط النيران ورغبة عمر بعد التعرف عليه في الانتقام فطلب رسول الله من العباس وعمر أن يخصروه في الصباح علي أن يبيت الليلة مع العباس وفي الصباح أحضره العباس إلي رسول الله –صلى الله عليه وسلم- فلما رآه قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى غني شيئا بعد قال رسول الله: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه فوالله إن في النفس منها حتى الآن شيئا،

فقال له العباس: ويحك أسلم وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك: قال فشهد شهادة الحق، فقال العباس: يارسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا، قال رسول الله: نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن- وأمر رسول الله بمرور القبائل من جيش المسلمين علي راياتها.

فلما رأي أبو سفيان المشهد قال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل "العباس" لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما –قلت- ويحك أنها النبوة، قال: فنعم إذن – قلت النَّجَاء إلي قومك.

فسار حتى إذا جاء قومه صرخ بأعلى صوته "يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به – فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقامت إليه زوجته هند بنت عتبة فأخذت بلحيته وقالت: اقتلوا هذا الشيخ الأحمق، قبح من طليعة قوم قال أبو سفيان: ويلكم- لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم مالا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقالوا: قاتلك الله وما تغني عنا دارك، قال ومن أغلق عليه بابه فهو آمن – ومن دخل المسجد فهو آمن فتفرق الناس إلي دورهم وإلي المسجد.

وهكذا دخلت جيوش المسلمين مكة من جميع مداخلها وكان النبي حريصا علي صون الدماء وتم فتح البلد الأمين بلا قتال.

ودخل رسول الله علي ناقته خاشعا متواضعا شاكر الله علي فضله ونصره ولم يزل رسول الله– صلى الله عليه وسلم- يقرأ سورة الفتح حتى انتهى إلي الكعبة.

ثم كبر فكبر المسلمين بتكبيرة – ثم طاف بالبيت سعياً علي ناقته وهو في كل طوفه يستلم الحجر الأسود حتى أتم طوافه.

ولما فرغ - صلى الله عليه وسلم- طوفه نزل عن راحلته ثم انتهى إلي المقام فصلى فيه ركعتين ثم انصرف إلي زمزم فشرب منها وتوضأ وتسابق المسلمون في شرف القيام بوضوء رسول الله- أمام المشركين- المذهولين مما يرون.

ثم دعا عثمان بن طلحة ففتح له الكعبة فدخلها وصلى بها ركعتين ثم وقف علي باب الكعبة فقال: لا إله إلا الله وحده – صدق وعده – ونصر عبده – وهزم الأحزاب وحده.

ثم خطب خطبة طويلة ذكر فيها جملة من الأحكام، ثم قال: يا معشر قريش: إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ الحجرات الآية 13.

ثم قال: يا معشر قريش ماذا تقولون؟ وماذا تظنون أني فاعل بكم؟
قالوا: خيرا .. أخ كريم وابن أخ كريم،

قال: أقول كما قال أخي يوسف ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ سورة يوسف الية 92، اذهبوا فأنتم الطلقاء.

فلو أن فاتح مكة كان قائدا من القادة أو ملكا من الملوك؟ وعلي مر التاريخ لما وجدنا قائدا منهم وقف من أعدائه هذا الموقف الكريم، فقد بلغ من السماحة قمما لأنه ليس في الناس كلهم بشر بلغ من الكمال الإنساني ما بلغه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد نزل هذا العفو الكريم بردا وسلاما علي تلك القلوب القاسية، وكانوا صماً وعميان.

قال تعالى (وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ) سورة فصلت 5.

فأية نفس عظيمة هذه النفس، إنها نفس الرسول الكريم الذي لم يكن يضمر قط إلا الخير لكل الناس، ولم يكن يبغى إلا الإصلاح ولم يكن قط ظالما أو جباراً ولا منقماً لنفسه.

قال الله تعالى فيه (لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ) التوبة الآية 128.

لقد كان هذا العفو فتحا آخر وهو فتح القلوب المتحجرة القاسية المستكبرة فجعلها في لحظات تفيض بالحب والإخلاص والطمأنينة وتدين بالولاء والطاعة وتنطوي تحت لواء رسول الله طائعة مستسلمة – وتدخل في دين الإسلام راضية مطمئنة.

قال تعالى (وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ) سورة فصلت 34-35.

ومنذ ذلك اليوم صارت مكة كعبة المسلمين وقبلتهم في مشارق الأرض ومغاربها وستظل كذلك إن شاء الله حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

هذا وقد مكث رسول الله بمكة قرابة العشرين يوما يرتب شؤونها – ويخرج بها من جو الشرك والوثنية إلي جو الإسلام والتوحيد فأمر بلال ولأول

مرة أن يؤذن فوق الكعبة، فصعد بلال علي ظهرها وأخذ يدوي بأعلى صوته وسط فرحه المسلمين بالنصر – بعد أن كانوا في مكة سابقا يعيشون في سرية وخوف فأذن بلال بأعلى صوته فقال: الله أكبر الله أكبر ... الله أكبر الله أكبر ... أشهد أن لا إله إلا الله ... أشهد أن لا له إلا الله... أشهد أن محمداً رسول الله... أشهد أن محمداً رسول الله... حي علي الصلاة... حي علي الصلاة ... حي علي الفلاح ... حي علي الفلاح... الله أكبر الله أكبر ... لا إله إلا الله، ثم اقيمت الصلاة وسط فرحة المسلمين فقام رسول الله يصلي بالناس في حرم البيت ولأول مرة وقام الناس معه علي صفوفهم يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده ويقومون كما قام ويجلسون كلما جلس وكان لهذا المنظر المنظم الجليل أثره الفعال في نفوس المشركين من أهل مكة فأقبلوا علي الإسلام طائعين واجتمعوا علي رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يبايعونه علي الإسلام، فجلس لهم رسول الله علي الصفا وقام دون مجلسه عمر بن الخطاب يأخذ البيعة علي الناس "علي السمع والطاعة".

فلما فرغ من بيعه الرجال جاء النساء يبايعنه علي ألا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن، ولا يعصينه في معروف فبايعهن واستغفر لهم الله،، ودخلت بذلك مكة في حظيرة الإسلام وعمت الناس روح جديدة من الحرية والإخاء والمساواة، ولما فرغ رسول الله –صلى الله عليه وسلم- قام بتطهير الكعبة من كل ما كان يدنسها من آثار العبودية لغير الله عز وجل، وأمر مناديا ينادي أهل مكة "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنما إلا كسره، ولم يكن بمكة بيت إلا فيه صنم يتبرك به اهله ويسمونه عند دخولهم وخروجهم كما يفعل العامة من الناس الآن عندما يزورون أضرحة ما يسمى بالأولياء تبركا بها".

ثم بعث رسول الله سراياه في قبائل العرب حول مكة ليهدموا ما بها من الأصنام مثل: اللات – والعزى – ومناة – سواع وأكبر أصنام العرب- وهو هبل في الطائف وقد دافع أهل ثقيف باستماته عن إلهَهُم هبل وأعدوا للحرب وحصنوا أنفسهم وذهب جيشهم لملاقات جيش المسلمين عند وادي حنين وأنضم إليهم قبيلة هوازن وبعض قبائل العرب وهذا الوادي أجوف منحدر ينفرج بعد طريق جبلي كثير المضايق والشعاب وينحدر عند مدخله انحدادا شديدا وفي الصباح تحرك المسلمون وفوجئوا بالسهام تسخط عليهم من كل فج فضاقت عليهم الأرض بما رحبت وقاموا بالارتداد بسرعة وبطريقة غير منظمة فشاع الاضطراب في الجيش فجعل الناس يتراجعون ويتدافعون بغير وعي فلما رأي رسول الله هذا الهلع جعل يصيح بالناس: ايها الناس؟ هلموا إليَّ أنا رسول الله – أنا محمد بن عبد الله أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب.

ثم أمر رسول الله العباس بأن ينادي بالأنصار والمهاجرين الذين سمعوا النداء وتذكروا البيعة وتوافدوا علي الرسول فكان النصر وكانت الغنائم التي لا تحصا.

خطبة الوداع

اقام رسول الله –صلى الله عليه وسلم- بمكة حتى يوم التروية فلما زاغت الشمس في ذلك اليوم ركب إلي منى فبات بها ، ثم أصبح فصلى الصبح، ثم سار إلي عرفة حين رأي الشمس قد طلعت، فلما صار ببطن عرفة وقف عن راحلته فخطب في الناس خطبته الجامعة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

"أيها الناس، اسمعوا مني أبين لكم، فإني لا أدري: لعلَّ لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً.

أيها الناس: أتدرون في أي شهر أنتم وفي أي يوم أنتم، وفي أي بلد أنتم؟ قالوا: في يوم حرام وشهر حرام وبلد حرام قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، إلي أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ..."

ألا هل بلغت: قالوا نعم، قال: "اللهم اشهد"

ألا ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلي من ائتمه عليها، ألا وإن كل رباً في الجاهلية موضوع، وإن لكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون قضى الله أن لا ربا، وأن أول ربا أبرأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم قال "اللهم اشهد".

ايها الناس: إنما النسيء زيادة في الكفر يُضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله، الا وإن الزمان قد

استدار كهيئه يوم خلق السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهرا – منها اربعة حرم – ثلاث متوالية وواحد فرد .. ذو القعدة وذو الحجة والمحرم .. ورجب الذي بين جمادى وشعبان .. ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم.. ولا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض. ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد.

أيها الناس: إن لنسائكم عليكم حقا، وإن لكم عليهن حقا، فعليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا ولا يدخلن بيوتكم أحدا تكرهونه إلا بإذنكم فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وأن تضربوهن ضربا غير مبرح.

فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتهم فروجهم بكلمات الله، فاتقوا لله في النساء واستوصوا بهن خيرا.. ألا قد بلغت؟ قالوا: نعم قال اللهم اشهد.

ثم قال: فليبلغ الشاهد منكم الغائب فلعل من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه.

وكان ربيعة بن أمية بن خلف واقفاً تحت صدر الناقة يردد قول رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وكان حسَّنا جهير الصوت.

فلما انتهى رسول الله من خطبته أمر بلال فأذن للصلاة وجمع رسول الله بين الظهر والعصر جمع تقديم، ثم ركب ناقته حتى وقف بها عند الهضاب من عرفة وظل يدعو ويستغفر حتى غابت الشمس ثم أ فاض من عرفات وأفاض الناس معه إلي المزدلفة وكان – صلى الله عليه وسلم- يوصي الناس بالسكينة والرفق في السير وألا يغلب قويهم ضعيفهم.

هذا وقد أنزل الوحي علي رسول الله – صلى الله عليه وسلم- قال تعالى (ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ) المائدة الآية 3.

وحيث أن الصلاة عماد الدين ومن أقامها فقد أقام الدين ونظرا لأهميتها القصوى بالنسبة للمسلم وهي الدليل الظاهري والمادي الذي يفرق بين المسلم وغير المسلم، ولأهميتها القصوى في الإسلام، فقد أمر رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وهو في مرض الموت- صاحبه وخليفته أبا بكر ليصلي بالناس فجعل أ بو بكر يصلي بالناس حتى صلى بهم سبع عشرة مرة وكلنصلى الله عليه وسلم- يحلو له أن ينظر إلي الناس وهم يصلون خلف أبي بكر فيسره ما يراه من إجتماعهم وألفتهم حتى كان هذا المنظر الحبيب إلي نفسه آخر منظر وقعت عليه عينه.

ويجب أن نذكر بكلمة الوداع التي قالها أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب أمام صفوف المودعين لرسول الله وهو علي سرير الموت- وبعد السلام عليه حيث قالا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ومعهما نفر من المهاجرين والأنصار فسلموا عليه كما سلم أبو بكر وعمر وصفوا صفوفا لا يؤمهم عليه أحد.

فقالا: اللهم إنا نشهد أنه قد بلغ ما أنزل إليه ونصح لأمته وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله به دينه وتمت كلماته فآمن بالله وحده لا شريك له فاجعلنا يا إلهنا ممن يتبع القول الذي أنزل معه، واجمع بيننا وبينه حتى يعرفنا وتعرفه بنا، فإنه كان بالمؤمنين رؤوفا رحيما فيقول الناس: آمين، أمين.

النهاية والخاتمة

وخير الختام هو ما ختم به الوحي الكريم (التوبة)

فسوف نقتدي بكتاب الله الكريم الذي ختم فيه الوحي بسورة التوبة حيث إن الجزء الأول من الكتاب كان يتحدث عن طرق التنمية البشرية والنهوض بالإنسان المسلم عن طريق تغيير مفاهيمه القديمة التي توارثها من الأجداد، وتحدثنا عن خطوات التغيير في مفاهيم العقل البشري وتصحيح العقيدة والعودة إلي الفطرة التي فطر الله الناس عليها وعلي دين إبراهيم الحنيف والبعد عن عبادة الأوثان ثم تحدثنا عن القدوة والأسوة الحسنة في قيادة وتنفيذ هذا البرنامج الضخم الذي يتكفل بهذا التغيير لأن بناء الإنسان وتغيير مفاهيمه أصعب من أي بناء ولذلك قد أرسل الله رسله لتحمل هه المهمة الشاقة التي تحتاج إلي المجهود الشاق والصبر والمثابرة واصطفى من هؤلاء الصفوة من عباده المخلصين وخاتم الأنباء والمرسلين المصطفى –صلى الله عليه وسلم- سيدنا محمد النبي الأمي الصادق الأمين وتحدثنا عن سيرته وقدوته الحسنة في السلم والحروب في المعاملات وفي العبادات وفي كل سيرته العطرة.

ولكن كما ذكرت أن وحي السماء قد انتهى بسورة التوبة رحمة من الله ونعمة فهو التواب والغفور والرحمن الرحيم وكان الخطاب عن بداية كتابي حتى نهاية موجه للمسلمين والمؤمنين ولكن تنمية البشرية لا تتم إلا بإحتضار جميع أفراد وفئات المجتمع بما فيهم المذنبون والعاصون فهم فئة كبيرة من الناس والذين قد وقعوا في المعصية أو الخطيئة إما عمدا أو اتباع ما زين لهم من وساوس شياطين الجن والإنس.

فأنهم لو تركوا أو نبذوا من المجتمع فإنهم يمكن أن يتمادون في المعصية وقد يسببون مشاكلا اجتماعية وأخلاقية ونفسية كثيرة حيث إن النفس البشرية أمارة بالسوء- فلو تم نبذها أو الضغط عليها- سيكون رد الفعل زيادة في المعصية وزيادة في العداوة وفي مشاكل اجتماعية وبنسبة كبيرة ولكن الله الرحمن الرحيم وفي كتابه الكريم فتح لهم التوبة والمغفرة فالإسلام يفتح صدره لكل أبنائه حتى العاصين منهم لكي يعيد تأهيلهم وإدخالهم في حظيرة المسلم السوي حيث إن كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون.

قال تعالى (إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ) سورة الزمر 53 .

وفي آية اخرى قال تعالى(قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ..) آل عمران 31.

وأن الله يغفر الذنوب لعباده الذي يطلبون من الله التوبة والمغفرة والوعد بعدم العودة للمعصية ولو حسنت توبته سوف يبدل الله سيئاتهم حسنات.

قال تعالى (إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا) سورة الفرقان 70.

فاي جزاء وأي تشجيع أو أي دافع أكثر مما ذكر – للعاصي التائب في القرآن. وباب المغفرة والتوبة مفتوح دائما لكل من دعا ربه.

قال تعالى (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ) سورة البقرة الآية 186.

موقف الإسلام من المخطئين والمذنبين

هو إعطاء الأمل وعدم اليأس من رحمة الله حتى لا يصبحوا مصدر فساد في الأرض

نعمة قبول التوبة والمغفرة

الحمدُ لله غافِر الذنب وقابِل التوب شديدُ العقاب ذي الطول لا إله إلا هو، نحمده سبحانه وتعالى ونستعين به ونستهديه ونسترضيه ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهدالله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً يقبل التوبة عن عباده وهو الغفور الرحيم.

قال رسول الله[1] "كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون" فإن التوبة هى الاعتراف بالخطأ ثم العودة والرجوع إلى الله ثم الالتجاء إليه سبحانه وتعالى ليبعده عن ظلمات المعاصى والآثام وهى سبيل الإنسان إلى الفلاح والنجاح.. وأن الله هو التواب الغفور.

قال تعالى(وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ)31 النور. وقال تعالى (وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ) 11الحجرات

وهناك سورة كاملة باسم التوبة فى القرآن الكريم . نزلت لمعاقبة المخالفين وتوضيح شروط التوبة

---

[1] أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة باب منه 39/9 رقم الحديث 2423 عن أنس رضي الله عنه قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا تعرفه إلا من حديث علي بن سعدة عن قتادة.

فالتوبة تنقسم إلى قسمين

١ -قسم يتعلق بحقوق الله سبحانه وتعالى.

٢ -قسم يتعلق بحقوق البشر.

ولكل قسم من القسمين شروطه .. كما يلى:

فالقسم الأول: الخاص بعلاقة الإنسان بربه وشروطه هى:

١ -الندم على الفعل.

٢ -عدم العودة إلى الفعل.

٣ -النية الصادقة على ترك المعصية.

وفى هذا القسم تكون حقوق قبول التوبة والعفو والمغفرة والمساهمة قاصرة على التواب عز وجل حيث قال تعالى: (إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) الفرقان 70.

قال تعالى(إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ) 53 الزمر.

قال تعالى(إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ) 114 هود

أما القسم الثانى: وهو الخاص بحقوق الإنسان وتزيد على الشروط السابقة شرط هام فهو أن يتحلل المسلم من الذنب الذى ارتكبه فى حق أخيه.

قال رسول الله **" من كانت له مظلمة عند أخية فليتحلل منها اليوم قبل أن لا يكون هناك رحم ولا أبناء"**.

وعلى هذا فليسارع المسلم بطلب السماح والعفو والقصاص والتوبة قبل أن يأتى يوم الحساب والعدل والقصاص الإلهى حيث لا يملك المرء شيئاً غير عمله ويؤخذ من حسناته وتضاف لصاحب الحق.

وفى حديث قدسى: ينادى رب العزة بنى آدم فيقول" **يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا. غفرت لك ما كان منك ولا أبالي يا بن آدم لوجئت بتراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا . لأتيتك بقرابها مغفرة"**. أخرجه البخارى عن ابى هريرة.

وفى حديث قدسى آخر **" كتب ربكم على نفسه ، بيده قبل أن يخلق الخلق، رحمة سبقت غضبى"**.

وفى حديث قدسى آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى فيما يحكى عن رب العزة قال" أذنب عبد ذنبا – فقال اللهم إغفر لى ذنبى فقال تبارك وتعالى: **أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب . ثم عاد فأذنب .. فقال : أى رب اغفر لى ذنبى فقال تبارك وتعالى: عبدى أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك."**

وفى حديث قدسى عن أبى هريرة عن النبى قال الله عز وجل" **أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حيث يذكرنى والله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالغلاة ومن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا وإذا أقبل إلى يمشى أقبلت إليه أهرول"**

وفى حديث قدسى آخر قال تعالى" **يا ابن آدم جئت بتراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بمثلها مغفرة** "

قال: " **كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون.**" وهو عن أبى هريرة رضى الله عنه وقال [1]:" **أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا**"

وقال النبى [2]: " **إتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن** " صدق رسول الله.

- قال تعالى(إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ)(53) الزمر.

- قال تعالى(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ) (8) التحريم.

قال تعالى(قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ) (16) القصص

---

(1) أخرجه ابن ماجة كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب في فرص الجمعة 381/3 رم الحديث 1071 رضي الله عنهما.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الأيمان 121/1 رقم 178 عن أبي ذر رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) قال الحاكم صحيح علي شرط الشيخين ولم يخرجاه وأخرجه أحمد في سنده 228/5 عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

قال تعالى(وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ) الشورى43

قال تعالى(إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ) المائدة(118).

قال تعالى(قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ) الأعراف(23).

قال تعالى (وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ) التغابن (14).

قال تعالى(وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ) البقرة(58).

قال تعالى(فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ)31 آل عمران

قال تعالى(وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ) آل عمران(129).

قال تعالى(وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ) آل عمران(135).

قال تعالى(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ) النساء 48.

قال تعالى(أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ) المائدة40.

قال تعالى (لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ) الأعراف(149).

قال تعالى(يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ) إبراهيم10.

قال تعالى (إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا) طه73

قال تعالى (وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ) النور(22).

قال تعالى(إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ) التغابن(17).

قال تعالى(يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا) الأحزاب(71).

قال تعالى(وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآ) البقرة286.

قال تعالى (أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ) الأعراف(155).

قال تعالى(رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ) الحشر10.

وأعلم أخى وصديقى بأنك لو أردت المغفرة فابدأ بالتوبة وغير ما بنفسك أولاً حتى يغير الله ما بك كخطوة أولى.

قال تعالى(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ)الرعد11

قال تعالى(ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ) الأنفال(53).

شهـــــــادة حـــــــق

شهادة من عالم أمين قادمة من الغرب

واستكمالا لأقوال الحق وعبقرية رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم قدوتنا في السلام وفي الحرب وفي الدين والدنيا.

فسوف نقرأ معا نموذجا واحدا من قبيل الدراسة وليس الحصر وقد قام بترجمة هذا النموذج الأستاذ والفيلسوف والمفكر أنيس منصور عن الكاتب والمؤرخ الكبير "مايكل هارت" عن أعظم الناس أثراً في التاريخ تحت عنوان "المائة" وقد أصدر الأستاذ أنيس منصور كتابه تحت عنوان "الخالدون مائة" أعظمهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عن دار الكتاب المصري الحديث.

وسوف نقتصر بعد مقدمة الكتاب علي شهادته الخاصة بالمصطفى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

في المقدمة

وفي 100 صفحة صدر كتاب بعنوان "المائة: تقويم لأعظم الناس أثرا في التاريخ" المؤلف هو عالم فلكي رياضي، يعمل في هيئة الفضاء الأمريكية، أما متعته الأولى فهي دراسة التاريخ.

وقد لاحظ أن من بين عشرات الألوف من ملايين الناس لم تذكر دوائر المعارف كلها سوى عشرين ألف شخص، كان لهم أثر في بلادهم وفي البلاد الأخرى وفي التاريخ الإنساني.

وقد قام المؤلف باختيار شخصياته الخالدة علي عدة أسس، من بينها أن الشخصية يجب أن تكون حقيقية، فهناك شخصيات شهيرة وبعيدة الأثر، ولا أحد يعرف أن كانت قد عاشت أو لم تعش، مثل الحكيم الصيني لاوتسو.. لا أحد يعرف هل هو إنسان أو أسطورة، والشاعر الإغريقي هومسيروس لا أحد يعرف إن كان حقيقة.

واستبعد أيضا عددا كبيرا من المجهولين مثل أول من اخترع النار، وأول من اخترع العجلات، وأول من اخترع الكتابة، لابد أن يكون شخصا عبقريا، ولكننا لا نعرفه ولا نعرف أيضا إن كان واحدا أو كثيرين.

كما أنه أقام أساس الاختيار علي أن يكون الشخص عميق الأثر، سواء كان هذا الأثر طيبا أو خبيثا، ولذلك كان لابد أن يختار هتلر.. لأنه كان عبقرية شريرة.

ولابد أن يكون للشخص أثر عالمي، إذ لا يكفي أن يكون له أثر إقليمي.. ولذلك استبعد كل الزعامات السياسية والدينية، والمواهب العلمية التي لها أثر "محلي" فقط.

واستبعد المؤلف كل الأشخاص الأحياء، أيا كانت آثارهم البالغة.. فإن أحدا لا يعرف بعد، كم تعيش آثارهم علي بلادهم أو علي الإنسانية.. فالمستقبل غيب.

وفي نفس الوقت من الممكن أن يختار أناسا ما يزال لهم مستقبل عظيم، فمن المؤكد أن البشرية سوف تعتمد علي الكهرباء خمسة قرون أخرى علي الأقل، ولذلك كان لا بد أن يضع في هذه القائمة اثنين من العلماء هما فراداي وماكسويل.

ومن الممكن أن يتلازم إثنان من العلماء، أو من الفلاسفة دون تفريق بينهما مثل كارل ماركس وصديقة فريدريش انجلز، فكلاهما له أثر عظيم علي التاريخ الإنساني.

وكذلك الأخوان رايت اللذان اخترعا الطائرة.

المهم هو أن يكون للشخصية أثر "شخصي" عميق متجدد علي شعبها وعلي تاريخ الإنسانية، ولذلك فقد اختار محمدا صلى الله عليه وسلم أول هذه القائمة، وعنده لذلك أسباب مقنعةز

وليس هذا الكتاب إلا واحدا من عشرات الكتب التي صدرت أخيرا في العالم الغربي المسيحي عن عظمة المسلمين والإسلام.

صحيح أن المؤلف الأمريكي لم يقلب طويلا في التاريخ الإسلامي أو الفكر العربي، وإلا لوجد عطاء في كل فروع المعرفة، ففضل العرب والمسلمين علي الحضارة الغربية معروف له ولغيره من العلماء الجادين المخلصين – ومن المؤكد أن الرجل مخلص وصادق في حكمه علي الكثيرين من عظماء التاريخ.

فقال لقد اخترت محمدا صلى الله عليه وسلم في أول هذه القائمة، ولابد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار ومعهم حق في ذلك، ولكن محمدا عليه السلام هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحا مطلقا علي المستوى الديني والدنيوي.

وهو قد دعا إلي الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات وأصبح قائدا سياسيا وعسكريا ودينيا، وبعد 13 قرنا من وفاته فإن أثر محمد عليه الصلاة والسلام ما يزال قويا متجددا.

وأكثر هؤلاء الذين اخترتهم قد ولدوا ونشأوا في مراكز حضارية ومن شعوب متحضرة سياسيا وفكريا، إلا محمداً صلى الله عليه وسلم فهو قد ولد سنة 570 ميلادية في مدينة مكة جنوب شبه الجزيرة العربية في منطقة متخلفة من العالم القديم، بعيدة عن مراكز التجارة والحضارة والثقافة والفن.

وقد مات أبوه وهو لم يخرج إلي الوجود، وأمه وهو في السادسة من عمره، وكانت نشأته في ظروف متواضعة وكان لا يقرأ ولا يكتب.

ولم يتحسن وضعه المادي إلا في الخامسة والعشرين من عمره عندما تزوج أرملة غنية.

ولما قارب الأربعين من عمره كانت هناك أدلة كثيرة علي أنه ذو شخصية فذة بين الناس.

وكان أكثر العرب في ذلك الوقت وثنيين يعبدون الأصنام، وكان يسكن مكة عدد قليل من اليهود والنصارى، وكان محمداً صلى الله عليه وسلم علي علم بهاتين الديانتين.

وفي الأربعين من عمره امتلأ قلبه إيمانا بأن الله واحد أحد، وأن وحيا ينزل عليه من السماء، وأن الله قد اصطفاه ليحمل رسالة سامية إلي الناس.

وأمضى محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث سنوات يدعو لدينه الجديد بين أهله وعدد قليل من الناس.

وفي 613 ميلادية أذن الله لمحمد صلى الله عليه وسلم بأن يجاهر بالدعوى إلي الدين الجديد فتحول قليلون إلي الإسلام.

وفي 622 ميلادية هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلي المدينة

المنورة، وهي تقع علي مدى 200 كيلو متر من مكة المكرمة وفي المدينة المنورة اكتسب الإسلام مزيدا من القوة، واكتسب رسوله عددا كبيرا من الأنصار.

وكانت الهجرة إلي المدينة المنورة نقطة تحول في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وإذا كان الذين تبعوه في مكة قليلين فإن الذين ناصروه في المدينة كانوا كثيرين.

وبسرعة اكتسب الرسول والإسلام قوة ومنعة، وأصبح محمد صلى الله عليه وسلم أقوى وأعمق أثرا في قلوب الناس.

وفي السنوات التالية تزايد عدد المهاجرين والأنصار واشتركوا في معارك كثيرة بين أهل مكة من الكفار وأهل المدينة من المهاجرين والأنصار.

وانتهت كل هذه المعارك في سنة 630 بدخول الرسول منتصرا إلي مكة وقبل وفاته بسنتين ونصف السنة شهد محمد صلى الله عليه وسلم الناس يدخلون في دين الله أفواجا..، ولما توفي الرسول صلى الله عليه وسلم كان الإسلام قد انتشر في جنوب شبه الجزيرة العربية.

وكان البدو من سكان شبه الجزيرة مشهورين بشراستهم في القتال، وكانوا ممزقين أيضا رغم أنهم قليلو العدد، ولم تكن لهم قوة أو سطوة العرب في الشمال الذين عاشوا علي الأرض المزروعة.

ولكن الرسول استطاع لأول مرة في التاريخ، أن يوحد بينهم وأن يملأهم بالإيمان وأن يهديهم جميعا بالدعوة إلي الإله الواحد، ولذلك استطاعت جيوش المسلمين الصغيرة المؤمنة أن تقوم بأعظم غزوات عرفتها البشرية فاتسعت الأرض تحت أقدام المسلمين من شمالي شبه الجزيرة العربية وشملت الإمبراطورية الفارسية علي عهد الساسانيين وإلي الشمال الغربي واكتسحت بيزنطة والإمبراطورية الرومانية الشرقية.

وكان العرب أقل بكثير جدا من كل هذه الدول التي غزوها وانتصروا عليها وفي 642 انتزع العرب مصر من الإمبراطورية البيزنطية، كما أن العرب سحقوا القوات الفارسية في موقعة القادسية في 637 وفي موقعة نينوي في 642 وهذه الانتصارات الساحقة في عهد الخليفتين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ولم تكن نهاية الزحف العربي والمد الإسلامي في العالم.

ففي 711 اكتسحت القوات الإسلامية شمال أفريقيا حتى المحيط الأطلسي ثم اتجهت القوات الإسلامية بعد ذلك إلي مضيق جبل طارق وعبروا إلي أسبانيا وساد أوروبا كلها شعور في الوقت بأن القوات الإسلامية تستطيع أن تستولي علي العالم المسيحي كله.

ولكن في 32 وفي موقعة تور بفرنسا، انهزمت الجيوش الإسلامية التي تقدمت إلي قلب فرنسا.

ورغم ذلك فقد استطاع هؤلاء البدو المؤمنون بالله وكتابه ورسوله، أن يقيموا إمبراطورية واسعة ممتدة من حدود الهند حتى المحيط الأطلسي، وهي أعظم إمبراطورية أقيمت في التاريخ حتى اليوم وفي كل مرة تكتسح هذه القوات بلدا، فإنها تنشر الإسلام بين الناس.

ولم تستقر العرب علي هذه الأرض التي غزوها إذ سرعان ما انفصلت عنها بلاد فارس، وإن كانت قد ظلت عن إسلامها، وبعد سبعة قرون من الحكم العربي لأسبانيا والمعارك المستمرة، تقدمت نحوها الجيوش المسيحية فاستولت عليها وهزمت المسلمون.

أما مصر والعراق مهدا أقدم الحضارات الإنسانية فقد انفصلتا، ولكن بقيتا علي دين الإسلام وكذلك كل شمال أفريقيا.

وظلت الديانة الجديدة تتسع علي مدى القرون التالية، فهناك مئات الملايين في وسط أفريقيا وباكستان وأندونيسيا.

بل إن الإسلام قد وحد بين أندونيسيا المتفرقة الجزر والديانات واللهجات وفي شبه القارة الهندية انتشر الإسلام وظل علي خلاف مع الديانات الأخرى.

والإسلام مثل كل الديانات الكبرى، وكان له أثر عميق في حياة المؤمنين به ولذلك فمؤسسو الديانات الكبرى ودعاتها موجودون في قائمة المائة الخالدين، وربما بدأ شيئا غريبا حقا أن يكون الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في رأس هذه القائمة رغم أن عدد المسيحيين ضعف عدد المسلمين، وربما بدأ غريبا أن يكون الرسول عليه السلام هو رقم واحد في هذه القامة، بينما عيسى عليه السلام هو رقم 3 وموسى عليه السلام رقم 16.

ولكن لذلك أسباب: من بينها أن الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم قد كان دوره أخطر وأعظم في نشر الإسلام وتدعيمه وإرساء قواعد شريعته أكثر مما كان لعيسى عليه السلام في الديانات المسيحية، وعلي الرغم من أن عيسى عليه السلام هو المسئول عن مبادئ الأخلاق في المسيحية، غير أن القديس بولس هو الذي أرسى أصول الشريعة المسيحية، وهو أيضا المسئول عن كتابة الكثير مما جاء في كتب "العهد الجديد".

أما الرسول صلى الله عليه وسلم فهو المسئول الأول والأوحد عن إرساء قواعد الإسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعي والأخلاقي وأصول المعاملات بين الناس في حياتهم الدينية والدنيوية كما أن القرآن الكريم قد نزل عليه وحده، وفي القرآن الكريم وجد المسلمون كل ما يحتاجون إلي دنياهم وآخرتهم.

والقرآن الكريم نزل علي الرسول صلى الله عليه وسلم كاملا، وسجلت آياته وهو ما يزال حيا، وكان تسجيلا في منتهى الدقة، فلم يتغير منه حرف واحد، وليس في المسيحية شيء مثل ذلك، فلا يوجد كتاب واحد محكم دقيق لتعاليم المسيحية يشبه القرآن الكريم، وكان أثر القرآن الكريم علي الناس بالغ

العمق، ولذلك كان أثر محمد صلى الله عليه وسلم علي الإسلام أكثر وأعمق من الأثر الذي تركه عيسى عليه السلام عي الديانة المسيحية.

فعلى المستوى الديني كان أثر محمد صلى الله عليه وسلم قويا في تاريخ البشرية وكذلك كان عيسى عليه السلام.

وكان الرسول عليه السلام علي خلاف عيسى عليه السلام رجلا دنيويا فكان زوجا وأبا، وكان يعمل في التجارة ويرعى الغنم، وكان يجارب ويصاب في الحروب ويمرض.. ثم مات..

ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم قوة جبارة، فيمكن أن يقال أيضا إنه أعظم زعيم سياسي عرفه التاريخ.

وإذا استعرضنا التاريخ فإننا نجد أحداثا كثيرة من الممكن أن تقع دون أبطالها المعروفين، مثلا: كان من الممكن أن تستقل مستعمرات أمريكا الجنوبية عن أسبانيا دون أن يتزعم حركاتها الاستقلالية رجل مثل سيمون بوليفار. هذا ممكن جدا علي أن يجيء بعد ذلك أي إنسان ويقوم بنفس العمل.

ولكن من المستحيل أن يقال ذلك عن البدو وعن العرب عموما وعن إمبراطوريتهم الواسعة، دون أن يكون هناك محمد صلى الله عليه وسلم.. فلم يعرف العالم كله رجلا بهذه العظمة قبل ذلك، وما كان من الممكن أن تتحقق كل هذه الا نتصارات الباهرة بغير زعامة وهدايته وإيمان الجميع به.

ربما ارتضى بعض المؤرخين أمثلة أخرى من الغزوات الساحقة.. كالتي قام بها المغول في القرن الثالث عشر، والفضل في ذلك يرجع إلي جنكيز خان، ورغم أن غزوات جنكيز خان كانت أوسع من غزوات المسلمين، فإنها لم تدم طويلا.. ولذلك كان أثرها أقل خطرا وعمقا.

فقد انكمش المغول وعادوا إلي احتلال نفس الرقعة التي كانوا يحتلونها قبل ظهورها جنكيز خان.

وليست كذلك غزوات المسلمين. فالعرب يمت دون من العراق إلي المغرب وهذا الامتداد يحتوي دولا عربية لم يوحد بينها الإسلام فقط، ولكن وحدت بينها اللغة والتاريخ والحضارة، ومن المؤكد أن إيمان العرب بالقرآن، هذا الإيمان العميق، هو الذي حفظ لهم لغتهم العربية وأنقذها من عشرات اللهجات الغامضة صحيح أن هناك خلافات بين الدول العربية، وهذا طبيعي، ولكن هذه الخلافات يجب ألا تنسينا الوحدة المتينة بينها.

وهذا الموقف العربي الموحد يؤكد لنا أن الغزوات العربية التي سادت القرن السابع ما يزال دورها عميقا وأثرها بليغا في تاريخ الإنسانية حتى يومنا هذا.

فهذا الامتزاج بين الدين والدنيا هو الذي جعلني أومن بأن محمد صلى الله عليه وسلم هو أعظم الشخصيات أثرا في تاريخ الإنسانية كلها!

شكر و تقدير

فبعد الشكر والحمد لله الرحمن الذى علمنا البيان أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من ساهم فى ظهور هذا الكتاب لكى يطلع عليه الناس وأحمد الله على نعمة البيان التى مكنتنى من تحويل الأفكار والخواطر القلبية عن طريق القلم الى بيان تحقيقا لقول الله تعالى فى سورة الرحمن:

قال تعالى : { ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ }

وأدعوا لهم من كل قلبى أن يجازيهم الله خيرا عنا وأن يضع عملهم فى ميزان حسناتهم يوم الحساب.

وأخص بالشكر كل من:

1- الأستاذ الدكتور/ صابرعبد الدايم عميد كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر فرع الزقازيق.

2- الأستاذ الدكتور/ عبد العاطى علام أستاذ لغة عربية جامعة الأزهر.

3- الأستاذ الدكتور/ السيد الديب - أستاذ بكلية أصول الدين .

4- الأستاذ الدكتور/ محمد شحاتة – استاذ العقيدة جامعة الأزهر.

5- الأستاذ الدكتور/ السيد محمد يونس رئيس قسم الحضارات بكلية اللغة العربية.

6- الأستاذ الدكتور/ الحسيني يوسف عبد العال أستاذ الحديث بالأزهر.

7- الأستاذ/ قاسم الصاوى – كبير خطباء الشرقية بإدارة الأوقاف.

8- الدكتور/ حسام على صالح – خبير التنمية البشرية.

9- شكر خاص لكل أفراد عائلتى وزوجتى العزيزة.

10- شكر خاص لمن قام بالمراجعة اللغوية والأخيرة للكتاب الأستاذ الدكتور/ محمد عطية حقى. عضو هيئة التدريس بكلية اللغة العربية بالزقازيق.

والله الموفق والى لقاء آخر بإذن الله. والسلام عليكم ورحمة الله

الفهـــــرس

م	الموضـــــــــوع	رقم الصفحة
1	المقدمة	2
2	الجزء الأول	4
3	الطبيعة الإنسانية	5
4	شفاء النفس	36
5	الإيمان والشعور بالأمن	41
6	الإيمان وشعور الانتماء إلي الجماعة	44
7	التقوى	45
8	الصيام والزكاة	50
9	الذكر لله والصبر	52
10	الأمل	57
11	قواعد السعادة والطمأنينة	65
12	المحبة	64
13	الرضا	70
14	علم الطب النفسي في الإسلام	76
15	القلق	78
16	الدوافع الفسيولوجية	81
17	السيطرة علي الانفعالات	97

18	الإنسان الكامل	100
19	الجزء الثاني	114
20	القدوة الحسنة	115
21	النكاح في الجاهلية	118
22	الموقف قبل البعث في العصر	124
23	في العصر الحديث	127
24	نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمله في شبابه	128
25	طبقات المجتمع المكي	133
26	رأي أعداء المصطفى فيه	135
27	التمهيد للهجرة	152
28	غزوة بدر	159
29	غزوة أحد	161
30	غزوة الأحزاب	163
31	غزوة بني قريظة	165
32	صلح الحديبية	167
33	فتح مكة	175
34	خطبة الوداع	184
35	النهاية والخاتمة	195
36	شهادة حق	187